

قَطَافُ حَدِيثِيهِ
مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ النَّبَوِيَّةِ



جَمَعَهُ وَأَعَدَّهُ
أُسَامَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَفِيَّانِ النَّعْمِي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

Kitab ismi: Kutuf hadisiyye min cevamiil kelimin nebeviyye

baskı yılı: 2024

Birinci baskı

Tüm baskı hakları mahfuzdur



تركيا - إسطنبول

00902125146104 : ☎ - 00905378167783 : 📍 📞 📱

🌐 www.dar-alusool.com - ✉ info@dar-alusool.com

📘 daralusool - 🐦 usool2017

دار الوصول العلمية
AL-USOOL AL-ELMIYAH

Balabanağa Mah. Büyük Reşitpaşa Cad. 16B/15, Fatih - İstanbul



قَطَافُ حَدِيثِيَّةٍ
مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ النَّبَوِيَّةِ





مَشْرِيفَاتُ مَجَالِسِ الْيُونَانِ

« مُشْتَطَفَاتٌ مِنْ مَجَالِسِ الْيُونَانِ »



فِيَا رَبِّ

" اللهم ما مننت به فقمه، وما أنعمت به فلا تسلبه،
وما سترته فلا تهتكه، وما علمته فاغفره "

" مقدمة "

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، سيدنا وشفيعنا محمد، وعلى آل بيته الطاهرين، وأصحابه الأكرمين، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين، وبعد:

فلا شك أن السُّنَّة النبوية الشريفة بحرٌ علمٍ لا يَنْضُبُ مَعِينُهُ، ولا تجف منابعه، خاصةً أنَّ الأمة ولادةٌ لأهل العلم في كل حين وزمان، ولقد سَخَّرَ اللهُ لهذا الدين الحنيف من يقوم بحفظه والاعتناء به، والدفاع عنه وتنقيته ما يعجزه، ولعلَّ من لطيف هذا الاعتناء من سادتنا أهل العلم أنهم يتناولون الأحاديث النبوية الشريفة من كل جوانبها، وذلك لحرصهم على استخراج كل ما ينفع الأمة من الأحكام والفوائد المستخلصة من نصوص ومفردات هذه الأحاديث، التي لا تزال تفيض بالخير العميم والنفع والبركة، كيف لا وهي من منطوق وعمل سيد ولد آدم رُوحِي له الفداء ﷺ الذي قال فيه جَلَّ وَعَلَا: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ).

ولقد أوصانا مشايخنا ورثة الأنبياء وسادتنا أهل الحديث الأتقياء بأن نعمل دائماً على قراءة الحديث وكتابته، واستخراج فوائده التي لا تنتهي، وذلك اقتداءً بالسلف الصالح الذين كانوا ولا زالوا منارة علمٍ، وهدى لمن أراد أن يستضيئ ويهتدي.

ورحم الله الإمام أحمد بن حنبل حين قال: (مَعَ الْمُحَبَّرَةِ إِلَى الْمُقْبَرَةِ)، فالله أسأل أن يوفقني لاستخراج ونقل جانبٍ من فوائد هذه الأحاديث الشريفة، التي أفاض علينا مشايخنا من بركة علمهم فيها، وبركة أسانيدهم إليها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

جَمَعَهُ وَأَعَدَّهُ

أُسَامَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَفِيَّانِ التُّعَيْبِيِّ





تقريظ فضيلة الشيخ العلامة المسند سيدي محمد وائل الحنبلي الأثري الدمشقي حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلّم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.
أما بعد:

فإنّ الله سبحانه وتعالى حفظ كتابه بالحفاظ والمقرئين، وكذلك حفظ الله تعالى سنّة نبيّه ﷺ بحملة الآثار والمُحدّثين.

وشاءت عناية الله سبحانه وتعالى بالسنة النبوية أن يتلقاها العلماء جيلاً عن جيلٍ، وكبيراً عن كبيرٍ، وخلفاً عن سلفٍ، فيعملون على تنقيحها وتخرجها، وشرحها والعناية بها.

فكان ممن أكرمهم الله تعالى بالاعتناء بالسنة النبوية: الأخ الأستاذ الموقّ

الشيخ السيد (أسامة بن محمد الحفيان النعيمي) حفظه الله تعالى.

فقام بشرح بعض الأحاديث النبوية المختارة، فكان شرحه سهل الأسلوب واضح العبارة، مناسباً لأبنائنا في هذا الزمن، وإني أحسب ذلك تجديداً للخطاب الديني، التجديد المرغوب، وليس هو التجديد المزدول والبعيد عن المطلوب، الذي هو تخريب لتراثنا الإسلامي، وإفناص من حقّه، أو حطاً من قدره.

فالأمّة الإسلامية اليوم بحاجة ماسّة إلى تجديد، ولكن بمعنى: أن يقرب أهل العلم وطلبته الكتب والعبارة لأبناء زماننا، وفي الوقت نفسه أيضاً نُحذّر من يريد تجديداً من ورائه تخريب لهذا الدين.

فبارك الله بالأخ الحبيب الأستاذ أسامة، وزاده توفيقاً وعلماً وتعليماً.

وأسال الله سبحانه وتعالى أن نرى المزيد والمزيد من إنجازاته العلمية والدعوية.

وختاماً: فإنّ الاعتناء بالسنة النبوية على أيّ وجهٍ من الوجوه نسال الله أن يُدرج صاحبه

تحت قوله ﷺ «يَجْمَلُ هَذَا الْعِلْمُ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْعَالِينَ، وَائْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ». (1).

اللهم اجعلنا من هؤلاء الحملة المخلصين، الذين يذبّون وينافحون عن هذا الدين.
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

1- روي هذا الخبر بأسانيد كثيرة لا يصح منها شيء، ولكن نقل الخطيب البغدادي

في «شرف أصحاب الحديث (ص 29)» تصحيحه عن الإمام أحمد بن حنبل،

ولعله أراد تصحيح معناه، والله أعلم.

- وقد أكرمني الله تعالى وسمعت هذا الحديث من أستاذي العلامة المفسر الأديب أحمد نصيب الحمديد،

وأخبرني أنه سمعه من الحديث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسيني بأسانيد، والله الموقّق.

قاله وكتبه محمد وائل الحنبلي الدمشقي
وذلك في 15 رجب الأصب عام: (1445هـ)
بمدينة غازي عينتاب التركية، على أرض بلاد الشام



تقرير فضيلة الشيخ المُحدِّث المُسند
سيدي أبو عبدالله النبيل بن سابق السُّبكي الحنبلي حفظه الله
شيخ دار الحديث السُّبكية - مصر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، صلى الله عليه وآله
وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

فإن السُّنة النبوية هي المبينة لما أُجمل في القرآن الكريم، وهي المتممة لأحكام
الشريعة الإسلامية كما قال الله تعالى (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ).
وقد أمرنا النبي ﷺ أن نُبلغ عنه أحكام هذه الشريعة، حيث قال ﷺ (بَلِّغُوا عَنِّي
ولو آية).

وهذا الأمر بالبلاغ يشمل كل من تعلم شيئاً - ولو يسيراً - من القرآن أو السُّنة،
مما ينفع به المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها.
وقد جمع لنا أخونا الفاضل "الشيخ أسامة الحفيان الحلبي" مختصراً يسيراً ومفيداً من
الأحاديث النبوية، مع تعليقات لطيفة عليه.

وهذا المختصر فيه عدة أحاديث مختارة من أصول العقيدة وأحكام التشريع
وبعض الآداب الإسلامية التي ينبغي أن يتحلى بها كل مسلم.
وقد أجاد في نقل كلام أهل العلم عليها، وفي استنباط عدة فوائد ولطائف منها.
أسأل الله عز وجل أن يجعل عمله هذا في ميزان حسناته ووالديه، وأن ينفع
به المسلمين.

وكتب المسند:
النبيل بن سابق السُّبكي
قيم وشيخ مدرسة الحديث السُّبكية

سُبك الأحد - المنوفية - مصر:
ليلة الجمعة ١٤ / ٦ / جُمادى الآخرة / ١٤٤٥ هـ
الموافق ليوم 27 / 12 / 2023 م



تقريظ القاضي الشرعي والفقير الشافعي
سيدي فضيلة الشيخ عبدالله خالد المرعي النعيمي حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:
فقد اطلعت على هذا الكتاب للسيد الشيخ أسامة الحفيان فرأيت فيه النفع
العميم، وذلك لحسن اختياره للأحاديث الصحيحة الجامعة التي يستفيد منها الجميع
على كافة المستويات، ثم لجهوده المبذولة في تبسيط الشرح مع تحريه النقل
الصحيح، وإن دل هذا على شيء فإنه يدل على حرصه على نفع الأمة.

وختاماً: نشكر ابننا الشيخ أسامة على هذا العمل المبارك،
وإننا نشهد بأخلاقه وحسبه ونسبه، كونه تلميذنا الذي تربي عندنا، ونعرف من
طيب خصاله وهمة العالية مدى حرصه على نشر الدعوة، ونشهد على تواضعه
وحبه لأهل الله وأهل العلم، وندعو الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الأمة وأن يزيده
من فضله، وأن يكتبه عنده من المقبولين.

حرر في تركيا - غازي عينتاب

2023 / 11 / 28 م

وكتبه عبدالله الشيخ خالد المرعي النعيمي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلوة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
 أما بعد؛ فقد اطلعت على هذا الكتاب للسيد الشيخ
 أمانة الطفيان فرأيت فيه النفع العميم، وذلك لظن
 اختياره للأحاديث الصحيحة الجامعة التي يستفيد منها الجميع
 عن كثافة المستويات، ثم طهوره المبتذلة في تبسيط الشرع
 مع تحريه النقل الصحيح، وإن دل هذا على جرائته يدل
 على حرصه على نفع الأمة

وختاماً فإني أشكر ابننا الشيخ أمانة على هذا العمل المبارك
 وإننا نشهد بأخلاقه وحميه وسنه كونه تلميذنا
 الذي تزي عننا، ونعرفه من طيب فضاله وحمته
 العالية مدى حرصه على نشر الدعوة.

وشهد على توافقه وحميه لأهل الله وأهل العلم
 ونعو الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الأمة وأن
 يزيد من فضله وأن يكتبه عند من المقبولين

العبد الفقير إلى الله

عبد الله الشيخ خالد

NOT:.....

TC
GAZIANTEP
VALİLİĞİ

تقريظ فضيلة الشيخ المُربي السيد الشريف طه البعّاج الحسيني حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم
 اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد؛
 فقد قرأت كتاب ابننا الأستاذ السيد أسامة الحفياني النعيمي حفظه الله
 فآلفيته كتاباً ممتعاً نافعاً أحسن فيه انقاء الأحاديث الباعثة على الالتزام والفضيلة
 والصلاح ومراقبة النفس، وأحسن فيه إضافة بعض أقوال السلف عن كل
 حديث، فكان عملاً طيباً سهل التناول سهل الفهم.
 ولقد عرفنا للمؤلف عدة مساهمات علمية كانت ذات نفع عميم، كثلاثيات
 الإمام البخاري، وموجز السائل عن أحكام الزلازل وغيرها، فجزاه الله خير الجزاء،
 والله أسأل أن ينفع به أهله وشيوخه والناس أجمعين،
 وأسأله تعالى أن يجعله من خواص عباده المقربين... آمين
 وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حرر في تركيا - ولاية شانلي أورفة

2023 / 11 / 30 م

السيد طه البعّاج الحسيني



تقريظ فضيلة الشيخ العلامة الفقيه
د. ظافر بن خضر سليمان حفظه الله
أستاذ الفقه بجامعة الموصل

مدير مدرسة المفتقر إلى لطف ربه المنان الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
أما بعد: فقد اطلعت على هذا الكتاب للسيد الشيخ أسامة الحفيان حفظه
الله بحفظه - فرأيت فيه الفوائد الكثير، والثقولات الحسنة، والالتفاتات اللطيفة،
وكان موفقاً في حُسن اختياره للأحاديث النبوية الشريفة، التي هي أصول الأحكام
وعليها مدار الإسلام، هذا ونسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الأمة، وأن يكتب
لعمله هذا القبول، ويرزقه الإخلاص في القول والعمل.
والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه
والتابعين.

حرر في العراق - الموصل

2023 / 12 / 2 م



المفتقر الى لطف ربه المنان
ظافر بن خضر بن سليمان

1- حديث (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ).

عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ). (١).

منزلة الحديث:

قال النووي رحمه الله: أجمع المسلمون على عِظَمِ موقعِ هذا الحديث، وكثرة فوائده، وصحته؛ (٢).

قال الحافظ العراقي رحمه الله: هذا الحديث قاعدة من قواعد الإسلام حتى قيل: إنه: ثلث العلم، وقيل: رُبْعُهُ، وقيل: خُمْسُهُ، وقال الشافعي وأحمد: إنه ثلث الإسلام؛ (٣).

وقد استحَبَّ العلماء أن تُستَفْتَحَ المصنفات بهذا الحديث، وممن ابتدأ به أول كتابه الإمام أبو عبد الله البخاري، كذلك الإمام النووي.

وقال عبدالرحمن بن مهدي: ينبغي لكل من صنف كتاباً أن يبتدئ فيه بهذا الحديث؛ تنبيهاً للطالب على تصحيح النية. (٤).

1- رواه إماما الحديثين: أبو عبد الله البخاري، وأبو الحسين مسلم النيسابوري في صحيحهما.

2- شرح مسلم للنووي (13 / 47 ح 1907).

3- طرح التثريب في شرح التقريب (1 / 6 ح 1) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد .

4- شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (3).



- وعن الإمام أحمد بن حنبل قال: أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث: حديث عمر: (إنما الأعمال بالنيّات)، وحديث عائشة رضي الله عنها: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو ردّ)، وحديث النعمان بن بشير (الحلال بيّن، والحرام بيّن). (١).

- وقيل: ليس في أخبار النبي ﷺ شيء أجمع وأغنى وأكثر فائدة من هذا الحديث. (٢).

- والنية لغة: القصد، وشرعاً: هي اعتقاد القلب فعل شيء، وعزمه عليه من غير تردد. (٣).

- قال ابن هبيرة رحمه الله: لا يقبل الله عملاً إلا بنية، حتى إن المسلم يضاعف له الثواب على أكله وشربه، وقيامه وقعوده ونومه ويقظته، على حسب نيته في ذلك، وربما يجمع الشيء الواحد عدة وجوه من العبادات بالنية (٤).

وقال ابن القيم رحمه الله: تداخل العبادات في العبادة الواحدة هو باب عزيز شريف، لا يعرفه إلا صادق، حاذق الطلب، متضلّع من العلم، عالي الهمة، بحيث يدخل في عبادة يظفر فيها بعبادات شتى، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. (٥).

1- جامع العلوم والحكم (1 / 24).

2- فتح الباري (1 / 17 ح 1) المجالس السنينة (7).

3- المغني (3 / 68).

4- الإفصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة (1 / 136 ح 34).

5- الجواب الكافي (265).



من فوائد هذا الحديث:

- 1- أن مدار الأعمال على النيات؛ صحة وفساداً، وكماً ونقصاً.
- 2- في الحديث إشارة إلى أن من أراد الغنمة صحح العزيمة، ومن أراد المواهب السنية أخلص النية.
- 3- أن الأمور بمقاصدها.
- 4- الفرق بين العبادة والعادة هو النية.
- 5- أن نية المؤمن تبلغ إلى حيث يبلغ عمله.
- 6- أن الإنسان يعطى على نيته ما لا يعطى على عمله.

من الشواهد لهذا الحديث:

حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (نية المؤمن خير من عمله). (١).

وحديث ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله كتب الحسنات والسئيات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها، كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعلمها، كتبها الله له عنده عشر حسنات، إلى سبع مائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسئلة فلم يعملها، كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعلمها، كتبها الله له سئلة واحدة). (٢).

- 1- قال الهيثمي في مجمع الزوائد (1/ 61): رواه الطبراني في الكبير، ورجاله موثقون: وقال إمام بن عباد بن دينار الجرشي، لم أر من ذكر له ترجمة، ورواه أبو نعيم في الحلية (3/ 255).
- 2- رواه البخاري (6491)، ومسلم (131)، باختلاف يسير.



جانب من شرح الحديث:

قال أهل العلم أن هذا الحديث العظيم قاعدة من قواعد الإسلام، وأصل من أصول الشريعة، حتى قيل فيه: إنه ثلث العلم، حيث قال فيه ﷺ: «الأعمال بالنيات» فلا تصح جميع العبادات الشرعية إلا بوجود النية فيها.

و«لكل امرئ ما نوى»، فإنما يعود على المسلم من عمله ما قصد منه، وهذا الحكم عام في جميع الأعمال من العبادات والمعاملات والأعمال العادية، فمن قصد بعمله منفعة دنيوية لم ينل إلا تلك المنفعة ولو كان عبادة، فلا ثواب له عليها، ومن قصد بعمله التقرب إلى الله تعالى وابتغاء مرضاته، نال من عمله المثوبة والأجر ولو كان عملاً عادياً، كالأكل والشرب.

ثم ضرب ﷺ الأمثلة العملية لبيان تأثير النيات في الأعمال فبين أن من قصد بهجرته امتثال أمر ربه، وابتغاء مرضاته، والفرار بدينه من الفتن؛ فهجرته هجرة شرعية مقبولة عند الله تعالى ويثاب عليها لصديق نيته، وأن من قصد بهجرته منفعة دنيوية وغرضاً شخصياً، من مال، أو تجارة، أو زوجة حسناء؛ «فهجرته إلى ما هجر إليه»، فلا ينال من هجرته إلا تلك المنفعة التي نواها، ولا نصيب له من الأجر والثواب.

من اللطائف التي استوقفتني بهذا الحديث:

أقول: وكأنما أراد رسول الله ﷺ أن يدلنا على مفتاح مستودع جبال الحسنات، وذلك بقوله: (وإنما لكل امرئ ما نوى)، ويمكن القول أن جميع البواعث والهواجس والنوايا الخيرية التي تدور في خلد الإنسان، والتي يقصد بها أداء عملٍ صالحٍ يعود بالنفع عليه أو على أهله أو أحد من المسلمين هو مأجور عليها حتى وإن لم يفعلها... وذلك لمجرد أنه ابتغى فيها مرضاة الله جلًّا وعَلًّا.

ولعل هذا الحديث بجد ذاته من أكثر الأحاديث التي تبشر المرء بالخير العميم الذي ينتظره لمجرد أنه نوى الخير ابتغاء مرضاة الله ونفع عباده، ولاشك أن هذه النوايا الحسنة التي يحض عليها الدين الحنيف تعود بالإيجابية على الفرد خاصة والمجتمع بشكل عام.

لذا فإن هذا الحديث يفيد أن من عَزَمَ على فعل طاعة وعقد قلبه على ذلك كتبها الله تعالى حسنة كاملة.

ومن ذلك قال ابن حجر في الفتح: قال الطوفي الحنبلي: إنما كتبت الحسنة لمجرد الإرادة، لأن إرادة الخير سبب إلى العمل، وإرادة الخير خير، لأن إرادة الخير من عمل القلب.

وفي ذلك قال بعض السلف:

- إذا حَسُنَت السرائر أصلح الله الظواهر. (١).
- ومضاعفة الأجر بحسب كمال الإسلام وبكمال قوة الإخلاص في ذلك العمل. (٢).
- لو نفع العمل بلا إخلاص لما ذم الله المنافقين. (٣).
- فمن أصلح سريره فاح عبير فضله، وعبقت القلوب بنشر طيبه فالله الله في إصلاح السرائر فإنه ما ينفع مع فسادها صلاح الظاهر. (٤).
- إن الرجل ليتكلم بالكلام ينوي فيه الخير فيلقى الله في قلوب العباد حتى يقولوا ما أراد بكلامه إلا الخير. (٥).
- وعلى قدر نية العبد وهمته ومراده ورغبته يكون توفيق الله له وإعانتة، فالمعونة من الله تنزل على العباد على قدر همهم. (٦).
- فأعلى مراتب الصدق: مرتبه الصديقية وهي كمال الاتقياء للرسول، مع كمال الإخلاص للمرسل. (٧).

1- ابن تيمية الفتاوى 277/3 .

2- ابن رجب الحنبلي: جامع العلوم 316/2 .

3- ابن القيم: الفوائد ص 65.

4- ابن الجوزي: صيد الخاطر ص 287 .

5- ابن حبان : روضة العقلاء ص 28 .

6- الفوائد ص 181 .

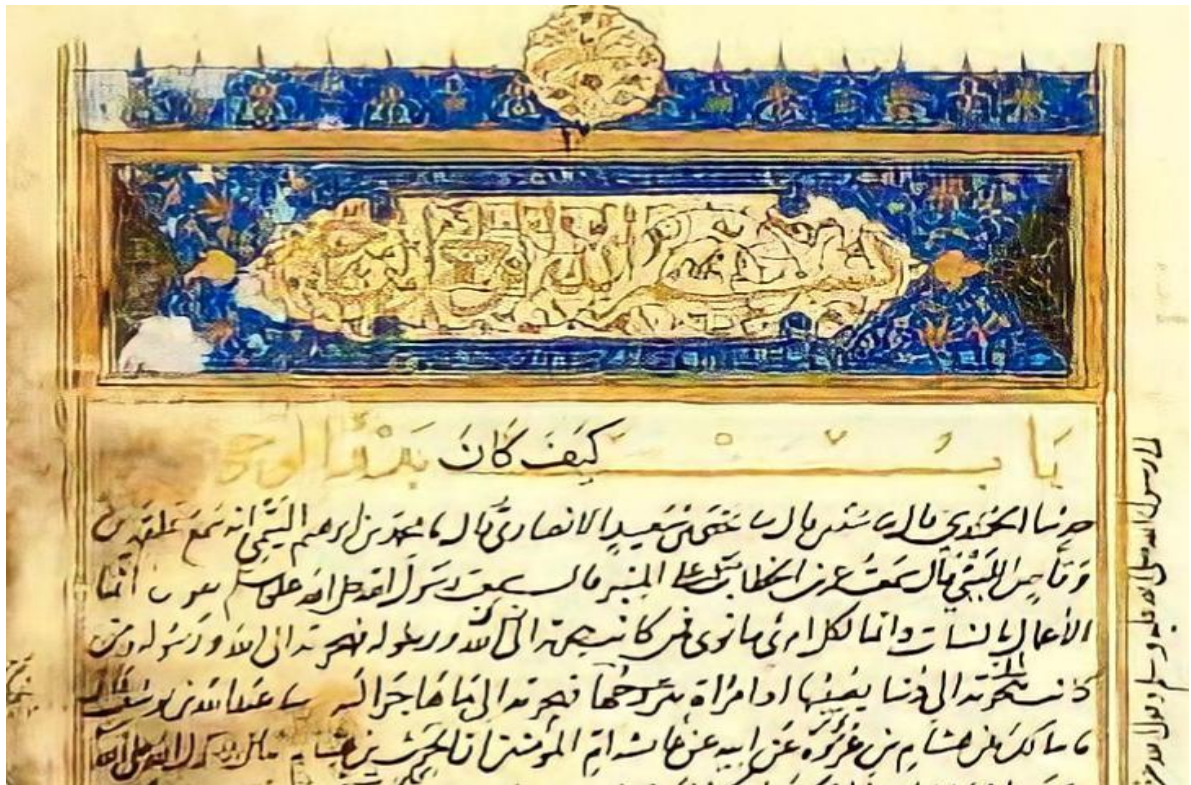
7- ابن تيمية المدارج ص 396 .

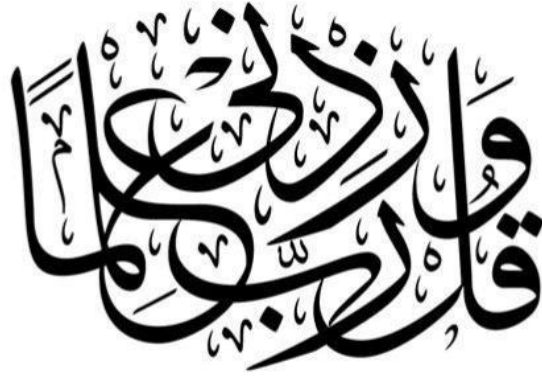


مخطوط حديث (إنما الأعمال بالنيات) من صحيح البخاري برواية الإمام أبي زيد المروزي (ت: ٣٧١)، وهو قد تلقاه من الفربري تلميذ الإمام البخاري رحمه الله.



مخطوط حديث (إنما الأعمال بالنيات) من صحيح البخاري نسخة لندن - أوروبا





2- حديث (شُعب الإيمان والحياء).

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:
(الإيمانُ بضعٌ وسِتُّونَ شُعبَةً، والحِياءُ شُعبَةٌ مِنَ الإيمانِ). (١).

أخرجه مسلم في الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها،
(بضع) ما بين اثنين إلى عشرة.

(سِتُّون) وعند مسلم (سَبْعُونَ) ولا تعارض بين الروایتين، قال النووي فإن
العرب قد تذكر للشيء عدداً ولا تريد في نفي ما سواه.
(شُعبَةٌ) خصلة والشعبة واحدة الشعب وهي أغصان الشجرة وهو تشبيه
للإيمان وخصاله بشجرة ذات أغصان لا تتكامل ثمرتها إلا بتوفر كامل
أغصانها.

(والحياء) صفة في النفس تحمّل على فعل ما يُحمد وترك ما يُذم عليه ويعاب.
وأول الحياء وأولاه: الحياء من الله تعالى، وهو ألا يراك حيث نهاك، وذلك
لا يكون إلا عن معرفة بالله تعالى كاملة، ومراقبة له حاصلة، وهي المعبر عنها
بقوله: أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

1- رواه البخاري (9)، ومسلم (35)، رواه أحمد (2 / 414 و 445)، وأبو داود (4676)،
والترمذي (2614)، والنسائي (8 / 110)، وابن ماجه (57).



جانب من شرح الحديث:

- قال أهل العلم بأن الإيمان قولٌ وعمل، فيدخل فيه قول القلب وقول اللسان، وأعمال القلوب الجوارح، وله أجزاء وشُعب كثيرة يتفاضل أهلها فيه بتحقيقها، وفي هذا الحديث يبين النبي ﷺ أن شُعب الإيمان وخصاله بضع وستون، والبضع من الثلاث إلى العشر، والمقصود أن الإيمان ذو خصال متعددة، ويتكون من أعمال كثيرة.

منها: أعمال القلوب؛ كالتوحيد، والتوكل، والرجاء، والخوف، وغيرها، ومنها: أعمال اللسان، كالنطق بالشهادتين والذكر والدعاء، وتلاوة القرآن، ومنها: أعمال الجوارح؛ كالصلاة، والصوم، وإغاثة الملهوف، ونصر المظلوم، وقد بينت رواية مسلم أعلى خصال الإيمان وأدناها: بقوله ﷺ «أعلاها: قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إمطة الأذى عن الطريق».

ثم أكد النبي ﷺ على أهمية خلق الحياء، وأنه خُصلة من خصال الإيمان، والحياء خلق يبعث صاحبه على اجتناب القبيح، ويمنعه من التقصير في حق ذي الحق.

وهو نوعان: فطري وشرعي، والمراد في هذا الحديث: الحياء الشرعي، وهو الحياء من الله تعالى؛ بأن لا يراك حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك، وهو بهذا المعنى أقوى باعث على الخير، وأعظم رادعٍ عن الشر؛ ولذلك كان من الإيمان، بل من كمال الإيمان.



وخص الحياء بالذكر هنا؛ لكونه أمراً خُلِقَ ربما يُذهل العقل عن كونه من الإيمان؛ فدلَّ على أن الأخلاق الحسنة أيضاً من أعمال الإيمان ودرجاته، وقد أُجملت في هذا الحديث شعب الإيمان، ولكنها موضحة ومفصلة في نصوص السنة النبوية، وحصرت العدد لا يعني الاختصار على البضع والستين أو البضع والسبعين، ولكنه يدل على كثرة أعمال الإيمان، وفي الحديث بيان أن الأعمال جزء من الإيمان.

من فوائد هذا الحديث:

- 1- الإيمان قولٌ باللسان، ومنه: قول: (لا إله إلا الله).
- 2- وتصديقٌ بالقلب، فلا يكون إلا مطمئناً بقضاء الله وقدره، ومن عمل القلب: الحياء.
- 3- وعمل بالجوارح الظاهرة، ومنه: إمطة الأذى عن الطريق.
- 4- والإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

من الشواهد لهذا الحديث:

حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: الحياء لا يأتي إلا بخير، والحياء خير كله. (١).

وحديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: استحيوا من الله تعالى حقَّ الحياء، من استحيا من الله حقَّ الحياء فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حقَّ الحياء. (٢).

١- أخرجه البخاري في "كتاب الأدب" "باب الحياء" (6117). ومسلم (37).

٢- أخرجه الترمذي (2458)، وأحمد (3671) باختلاف يسير.



من اللطائف التي استوقفتني بهذا الحديث:

أقول: حقيقة هذا الحديث يجعل المرء يختار في تصنيفه، فتارةً نراه بين عداد أحاديث أبواب الإيمان في كتب الحديث، وتارةً نراه في أحاديث الحياء، وتارةً ناره في عداد الأحاديث التي تحض على الأدب وفضائل الأعمال، وكثيرةً هي فروعها التي يُستشهد بها.

ونرى فيه أيضاً شواهد تذكر قضية زيادة الإيمان وتستخدم مصطلح "استكمال الإيمان"، ولعل معناه أن الإيمان في هذه الحالة يترقى في درجات الكمال، وهذا الترقى هو بالضرورة زيادة في إيمان العبد.

ومن ذلك كما جاء ذلك في حديث أبي أمامة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ). (1).

بل ومن لطيف من نقراً في موضوع ذلك قول الإمام الحميدي؛ قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة: لا تقل ينقص، فغضب وقال: اسكت يا صبي! بل ينقص حتى لا يبقى منه شيء. (2).

1- سنن أبي داود، كتاب السُّنة- باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (4681).

2- أخرجه الحميدي في أصول السنة (ص 41)، والصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص 270)، واللالكائي الحنبلي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (ج 5 ص 1032) والعدني في الإيمان (ص 94)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (ج 2 ص 854/ كتاب الإيمان)، والآجري في الشريعة (ج 2 ص 607) من طريقين عن سفيان به.



وأما عن الحياء فلا يعرف المرء من أين يبدأ بالحديث عنه، ولعل سادتنا من السلف وأهل العلم كانوا أكثر ما يشددون عليه في تربية أجيال الأمة هو الحياء، وأولها الحياء من الله ورسوله ﷺ، ولقد رأينا أجمل صورة من صور الحياء تلك الذي بدأها الله تبارك وتعالى؛ كما في الحديث (إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرَدَّهَا صَفْرًا خَائِبَتَيْنِ). (١).
ونرى من أكمل صور الحياء الآدمي وأجله حياء رسول الله ﷺ.

وكما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ قال (كان النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَدْرَاءِ فِي خَدْرِهَا؛ (وفي روايةً بزيادة) وَإِذَا كَرِهَ شَيْئًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ). (٢).

ثم من مشكاة التربية النبوية التي رأيناها نجد انعكاسها في أخلاق وحياء الصحابة رضي الله عنهم؛ وأخرج أبو القاسم الطبراني عن سيدنا أبي هريرة رضي تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال عن شخصية سيدنا عثمان رضي الله عنه: (إِنَّهُ أَشْبَهُ أَصْحَابِي بِي خُلُقًا). (٣).

وكذلك باقي الصحابة ومن سار على هذا النهج النبوي العظيم إلى يومنا هذا، ولقد كان من أكثر وصايا مشايخنا وعلماءنا أن نراقب الله تعالى ونستحي منه في الخلوة والجلوة.

1- صحيح الترمذي (3556).

2- رواه البخاري (3562)، وعند مسلم (2320) مطولاً باختلاف يسير.

3- المعجم الكبير للطبراني 1/76



ولعل الباحث يرى الكثير من الدرر والأقوال التي تتحدث عن الحياء وتحث على الالتزام به لفضيلته العظيمة وخصاله الحميدة؛ وفي ذلك:

قولٌ يُنسب لسيدنا عمر رضي الله عنه، قال (من قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه). (١).

- قال ابن القيم في حقيقة الحياء: (قال صاحب المنازل: الحياء: من أول مدارج أهل الخصوص، يتولد من تعظيم منوط بود، إنما جعل الحياء من أول مدارج أهل الخصوص: لما فيه من ملاحظة حضورٍ من يُستحي منه. وأول سلوك أهل الخصوص: أن يروا الحق سبحانه حاضراً معهم، وعليه بناء سلوكهم، وقوله: إنه يتولد من تعظيم منوط بود).
يعني: أن الحياء حالة حاصلة من امتزاج التعظيم بالمودة، فإذا اقترنا تولد بينهما الحياء. (٢).

- قال الجنيد رحمه الله: الحياء رؤية الآلاء ورؤية التقصير، فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء، وحقيقته خُلُقٌ يبعث على ترك القبائح ويمنع من التفريط في حق صاحب الحق.

1- رواه الطبراني في (المعجم الأوسط) (٢ / ٣٧٠)، والبيهقي في (الشعب) (٧ / ٥٩) من حديث الأحنف بن قيس رضي الله عنه. قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (١٠ / ٣٠٥): فيه دويد بن مجاشع ولم أعرفه وبقيه رجاله ثقات.

2- (مدارج السالكين) (٢ / ٢٥٣).



- وقال السري السقطي: (إن الحياء والأنس يطرقان القلب، فإن وجدا فيه الزهد والورع وإلا رحلا، وفي أثرٍ إلهي يقول الله عز وجل: ابن آدم إنك ما استحييت مني أنسيثُ الناس عيوبك، وأنسيثُ بقاع الأرض ذنوبك ومحوت من أم الكتاب زلاتك، وإلا ناقشتك الحساب يوم القيامة). (1).
- وفي أثر آخر: أوحى الله عز وجل إلى عيسى عليه السلام: (عِظْ نَفْسَكَ فَإِنْ اتْعَطَتْ وَإِلَّا فَاسْتَحْيِ مِنِّي: أَنْ تَعِظَ النَّاسَ). (2).
- وقال الفضيل بن عياض: (خمسٌ من علامات الشقاوة: القسوة في القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل).
- وقال ابن عطاء: (العِلْمُ الأَكْبَرُ: الهَيْبَةُ والْحَيَاءُ؛ فَإِذَا ذَهَبَتِ الهَيْبَةُ والْحَيَاءُ لَمْ يَبْقَ فِيهِ خَيْرٌ).
- وقال ذو النون المصري: (الحياء وجود الهيبة في القلب، مع وحشة ما سبق منك إلى ربك تعالى).
- وقال أبو عبيدة الناجي: سمعت الحسن يقول: (الحياء والتكرم خصلتان من خصال الخير، لم يكونا في عبد إلا رفعه الله عز وجل بهما). (3).

1- رواه القشيري في (رسالته) (٢ / ٣٦٨)، وابن عساکر في (تاريخ دمشق) (٣٤ / ١٥٠) عن أبي سليمان الداراني رحمه الله.

2- وصية الشيخ السلمي (٤٢).

3- (مكارم الأخلاق) لابن أبي الدنيا (١ / ٤٣).



- وقيل: من علامات المُستحي: (أن لا يُرى بموضع يُستحيا منه). (1).
- وقال ابن أبي الدنيا: (قيل لبعض الحكماء: ما أنفع الحياء؟ قال: أن تستحي أن تسأله ما تحب، وتأتي ما يكره). (2).
- وقال ربيط بني إسرائيل: (زين المرأة الحياء، وزين الحكيم الصمت). (3).
- ومن كلام بعض الحكماء: أحيوا الحياء بمجالسة من يُستحي منه. وعمارة القلب بالهبة والحياء، فإذا ذهب من القلب لم يبق فيه خير.
- وقال ذو النون: (الحياء وجود الهبة في القلب، مع وحشة ما سبق منك إلى ربك، والحب ينطق، والحياء يُسكت، والخوف يُقلق).
- ذكر ابن عبد البر عن سليمان عليه السلام، قال: (الحياء نظام الإيمان، فإذا انحلَّ النَّظام ذهب ما فيه).

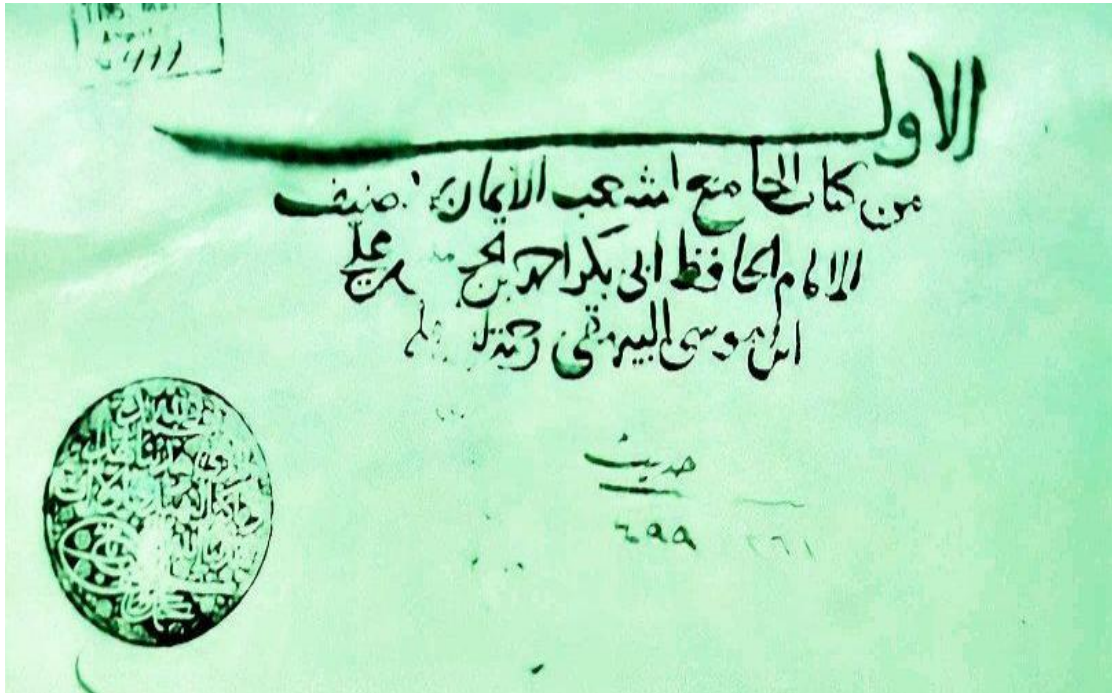
وفي ذلك قال ابن جرير الطبري:

حيائي حافظاً لي ماءً وجهي
ولو أني سمحتُ ببدلٍ وجهي
ورفقي في مطالبتي رَفِقي
لكنْتُ إلى الغنى سهلَ الطريقِ

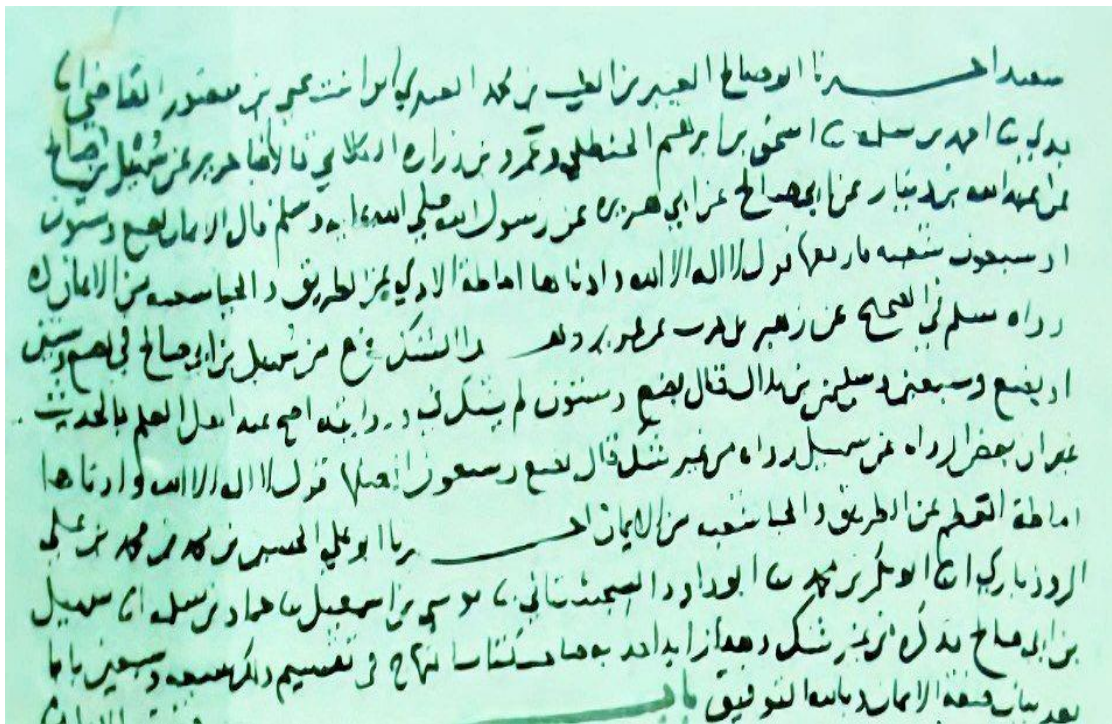
-
- 1- (الرسالة القشيرية) (٢/ ٣٦٨ - ٣٦٩) بتصرف.
٢- (التوبة) لابن أبي الدنيا (ص ٩١).
3- (الصمت) لابن أبي الدنيا (ص ٢٦٣).



مخطوط كتاب شعب الإيمان (ج1)، للإمام أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت 458).



صفحة حديث شعب الإيمان: أصل هذه النسخة محفوظ في مكتبة دار الإفتاء في السعودية.



رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا
وَقَاتِلْ



3- حديث (المُفْلِسُ الحَقِيقِي).

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟
 قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ
 مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا
 مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ
 فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ). (١).

ومن شواهد هذا الحديث، حديث ثوبان رضي الله عنه،
 عن النبي ﷺ قال: (لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ
 جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا، قَالَ ثُوْبَانُ: يَا رَسُولَ
 اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ،
 وَمِنْ جَلَدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ
 اللَّهِ اتَّهَكَوْهَا). (٢).

١- صحيح مسلم (2581). كذا في كتاب البر والصلة والآداب/باب تحريم الظلم (6579)،

وهو من أفراد مسلم على البخاري.

2- رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب (4245).



جانب من شرح الحديث:

قال أهل العلم أن هذا الحديث حديثٌ عظيمٌ للغاية في التحذير من الظلم أيًا كان، سواء ظلم الناس بأعراضهم شتمًا وقذفًا، أو في دماءهم سفكًا وضربًا، أو في أموالهم نهبًا وسلبًا، فإن هذا ظلم عظيم، وجُرْمٌ وخيم، والله سبحانه وتعالى سائل العبد يوم القيامة، وعنده جَلٌّ وعَلَا يكون القصاص وتُقْتَصُّ المظالم.

وفي ذلك اليوم العظيم يظهر أناس يأتون يوم القيامة مفاليس من الحسنات والأجور لأنها تذهب إلى أولئك الذين ظلموهم في الحياة الدنيا.

وقفه: قال أهل العلم أن هذا الحديث صدر من النبي ﷺ بهذا الأسلوب الذي أتى فيه بصيغة التشويق والتنبيه ولفت الأنظار إلى حسن الاستفادة. فقال: (أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟)، والمفلس في العرف والمعتاد والمألوف عند الناس هو من لا درهم له ولا متاع.

ولكن النبي ﷺ بيّن لهم هنا أن الإفلاس الحقيقي هو الإفلاس من الخيرات والحسنات والأجور، فقال ﷺ: (إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ). وتأمل كيف أن هذا المفلس يأتي وهو يصلي ويصوم ويزكي، أي ليس تاركًا للصيام، ولا تاركًا للصلاة، ولا تاركًا للزكاة.



ولكنه: (يَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَصَرَبَ هَذَا)، وهذه خمسة أنواع من التعدييات ذُكرت في هذا الحديث، الشتم: وهو السباب واللعن ونحو ذلك، والقذف: وهو رمي المحصنات أو المحصنين العفيفين والعيافات رمياً بالفاحشة والزنا، والثالث: أكل أموال الناس بالباطل، والرابع: سفك الدماء بإراقتها وإزهاق الأرواح، والخامس الضرب.

وقال ﷺ: (فِيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ)، والإشارة هنا: إلى من ظلمهم بسفك دم، أو أخذ مال، أو ضرب، أو شتم، أو قذف، أو نحو ذلك، ثم قال ﷺ: (فَإِنْ فَنَيْتَ حَسَنَاتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ)، أي: حتى وإن لم يبقى له أي حسنة فلن يقف الأمر عند هذا الحد؛ بل سيؤخذ من خطايا خصومه وذنوبهم وتطرح عليه، ثم يطرح في النار والعياذ بالله، وهذا هو الإفلاس العظيم.

فالشاهد أن هذا الأمر أمرٌ خطير وليس بالهين، والواجب على الإنسان أن يتقي الله عزوجل وأن يحذر الظلم، فإن الظلم ظلمات، وأن يحذر أشد الحذر أن يقف يوم القيامة في ذلك اليوم العصيب مفلساً يرى حسناته تذهب هنا وتذهب هناك، وتذهب إلى هذا وذاك حتى لا يبقى له من حسناته شيء، ثم لا يقف الأمر عند هذا الحد، بل يطرح عليه من سيئات من ظلمهم فيطرح والعياذ بالله في نار جهنم.



من فوائد هذا الحديث:

- 1- أن المفلس عدّ من أمة النبي ﷺ رغم إفلاسه من كل شيء.
- 2- أن هؤلاء المفلسين هم أناس يأتون يوم القيامة بأعمالٍ صالحة ثم يفلسون مع كونهم من أهل العبادات؛ فكيف بمن يتهاون في فرائض الإسلام.
- 3- أن هذه أبرز أنواع ما يقع من الظلم، وليس الأمر محصوراً في هذه الخمس المذكورة في الحديث، بل إن ما سواها من الظلم راجع إليها في الجملة.

من الشواهد لهذا الحديث:

- حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (لتؤدّن الحُقُوقَ إلى أهلها يومَ القيامةِ، حتّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الجُلحاءِ، مِنَ الشَّاةِ القَرْناءِ) (١).
- وحديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرِضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ). (٢).

١- صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (2582).

٢- صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحلها له، هل يبين مظلمته (2449).



من اللطائف التي استوقفتني بهذا الحديث:

أقول: كثيرة هي لطائف هذا الحديث، ولكن لعل الناظر المتأمل فيه يرى كيف أن الإنسان يجب أن يفكر مراراً وتكراراً قبل أن يقدم على أي عمل من شأنه إيقاع الضرر على أحد، بل ومن تحرى عدم الوقوع في تحذيراته سيبقى يقظاً حتى على خواطر قلبه ووارداته.

كما ونرى أن هذا المفلس قد نال درجة النجاح في امتحان العبادات، ولكنه فشل في امتحان السلوك والمعاملات، وللإجابة انظر إلى بقية الحديث: قال يأتي وقد: شتم هذا (معاملات)، وأكل مال هذا (معاملات)، وضرب هذا (معاملات).

وفي ختام الحديث: يُعطى هذا من حسناته، ويأخذ من ذاك خطاياها، ثم تأتي الطامة الكبرى بأن يرى نفسه وقد طرح في النار والعياذ بالله.

وهنا نجد أن رسوبه في المعاملات قضى على نجاحه في العبادات.

وفي المقابل نجد أن الشخص الذي حُسِنَ خُلُقُهُ (معاملات)، تجده قد بلغ درجة الصائم القائم (عبادات) بِحُسْنِ خُلُقِهِ، وكذلك من شواهد هذا الحديث قوله ﷺ: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ). (١).

ذلك لأن الشعائر (العبادات) لا تستقيم بدون حُسن الخلق، وأن تلك الشعائر إذا لم تُثمر أخلاقاً فاضلة فعلى المرء أن يراجع نفسه.

١- رواه أبو داود .



ورحم الله القائل؛ إذا كان الإنسان في هذه الحياة يسعى ليجمع ثروة من المال يعيش بها في هناءة وسعادة، وتغنيه عن الحاجة للعباد، فإن طالب النجاة يوم القيامة أولى أن يسعى ليجمع ثروة من الحسنات؛ ينال بها سعادة الآخرة، ويفوز بها بالجنة.

ومن جميل ما قرأت في شرح حديث (أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ) لأحد أهل العلم؛ قال: لم يكون الفقر الحقيقي المَوْجِع ممتثلاً في الابتعاد عن الله وقلة الطاعات وكثرة المنكرات فحسب، ولم يتمثل أيضاً بأن يكون بلى مال فقط...

فالإفلاس كما في الحديث هو أن تخوض مع الخائضين في أعراض الناس، تغتاب هذا، وتأفك ذاك، وربما تتعمق أكثر فتجد نفسك تقذف المحصنات وتتهم الشريفات، وبالتالي يخشاك الناس اتقاء فحشك وفجورك والعياذ بالله، وبالتالي يكون الإفلاس أكبر وأعمق.

وفي حصائد الألسن يقول الحسن البصري رحمه الله: ذكُرُ الغير بما يكره ثلاثة: الغيبة، والبهتان، والإفك، وكلُّ في كتاب الله عز وجل.

فالغيبة: أن تقول ما فيه، والبهتان: أن تقول ما ليس فيه، والإفك: أن تقول ما بلغك عنه.

ومن ذلك نجد أن تكلم الأفعال الثلاثة من آفات اللسان، والأداة الرئيسية فيها هو اللسان، الذي إن لم يتم ضبطه وكبح جماحه، دفع بصاحبه إلى نهايات غير محمودة...

كيف لا: وهو القائل فيه ﷺ: (وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ). (١).

ومن هنا يأتي فضل قلة الكلام إلا لحاجة، والتوجيهات النبوية الكريمة في هذا الصدد عديدة ومتنوعة، منها قوله ﷺ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا، أَوْ لِيَصْمُتْ). (٢).

وقوله ﷺ: (المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ). (٣).

وقوله ﷺ: (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء). (٤). وغيرها من التوجيهات النبوية الشريفة، فأين نحن من هذه الأقوال والوصايا النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأكمل التسليم.

١- رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

٢- رواه البخاري (6018)، ومسلم (47).

٣- أخرجه البخاري (10)، ومسلم (40) مختصراً.

٤- أخرجه الترمذي (1977) واللفظ له، وأحمد (3839).



4- حديث (عَجَباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ).

عن أبي يحيى صهيب بن سنان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:
(عَجَباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ:
إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً
لَهُ). (١).

نرى هنا كيف يوجّه النبي ﷺ قلب المؤمن للإيمان الكامل بقضاء الله
وقدره، ليجعله في رضا كاملٍ على كل أحواله، بخلاف غير المؤمن الذي
يكون في سخطٍ دائمٍ عند وقوع ضررٍ عليه، وإذا ما حاز نعمةً من الله عزَّ
وجلَّ انشغلَ بها عن طاعته، فضلاً عن صرفها في المعصية.

وهنا يظهر جلياً كيف أطلق النبي ﷺ مصطلح "المؤمن" على هذه
الزمرة الصابرة الحامدة في السراء والضراء ولم يقل "المسلم"، فليس كل
الناس على مستوى واحد من الإيمان بقضاء الله وقدره خيره وشره.

فهذه الزمرة المؤمنة بالإضافة لكونها آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وبكل ما ورد في الشرع وصح منه،
زادت على ذلك بحسن الظن بالله تعالى والثقة بما عنده، وتفويض الأمور
إليه في كل شيء وانتظار الفرج منه، لأنه تعالى لا يخيب من رجاه، كما
جاء في الحديث القدسي قوله تعالى: (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي). (2).

١- صحيح مسلم (2999) بنحوه، وهو من أفراد مسلم على البخاري، وأخرجه أحمد (23930) مطولاً
باختلاف يسير.

2- أخرجه البخاري (7405)، وفي مسلم كذلك (2675).



جانب من شرح الحديث:

قال أهل العلم أن الصبر من الأخلاق الفاضلة والخصال النبيلة التي أمر الله تعالى بها، ورجب فيها وبين فضلها.

وفي هذا الحديث يقول النبي ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ»؛ فأظهر النبي ﷺ العجب على وجه الاستحسان لشأن المؤمن وأحواله؛ وذلك لأن أحوال المؤمن كلها فيها الخير.

ثم قال ﷺ: وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، جزاء إيمانه وتسليمه لقضاء الله وقدره.

فكل إنسان في قضاء الله وقدره بين أمرين: مؤمن وغير مؤمن،

فالمؤمن إن أصابته سراء من نعمة دينية أو دنيوية؛ شكر الله، فهو يعرف حق الله في تلك النعمة وما قُدِّر له منها، فيقوم بالطاعة والعباد والقرب من الله عز وجل امتنانًا وشكرًا له سبحانه، فيحصل له الأجر في الآخرة.

ويضاف لهذا الشكر فرحُه الذي يشمله بتلك النعمة، وكذلك فإن المؤمن إذا أصابته الضراء صبر على أقدار الله، وانتظر الفرج من الله، واحتسب الأجر على الله، ولجأ إليه تعالى في كشفها، فكان الصبر خيرًا له؛ لأنه يثاب على صبره، لذا فأمره كله خيرًا.



من فوائد هذا الحديث:

- 1- بيان إظهار علو شأن المؤمنين ومنزلتهم عند رب العالمين، وما أعد لهم من عظيم الجزاء عندما يشكرونه في السراء ويصبرون على الضراء.
- 2- بيان أنه عز وجل إنما ابتلى المؤمن ليختبره، ويمتحن صبره ويرفع قدره ويزيد أجره.
- 3- أن الله تعالى ارتضى لعباده الصالحين صفةً مشتقة من أحد أسمائه الحسنى وهو (المؤمن) فأى شرفٍ هذا الذي حازهُ المتوكلون على الله جَلَّ وَعَلَا.

من الشواهد لهذا الحديث:

- حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (ما يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَدَى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ). (1).
- ومن حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ، وَلَا نَصَبٍ، وَلَا سَقَمٍ، وَلَا حَزْنٍ، حَتَّى الْهَمُّ يَهْمُهُ؛ إِلَّا كَفَّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ). (2).

1- أخرجه البخاري (5642) واللفظ له، ومسلم (2573).

2- صحيح مسلم (2573).



من اللطائف التي استوقفتني بهذا الحديث:

أقول: لعل المتأمل في الفاظ هذا الحديث يرى كيف اقترنت صفة المؤمن بالخير في كل أحواله، ثم يرى التخصيص النبوي له بقوله ﷺ: (وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ)، ولا يكون التخصيص إلا لعظيم الثواب من الوهاب، ثم نرى كيف أن المنحة الربانية تأتي لتبتلي العبد الشاكر وترى أثر تقبله بين النعم ومدى تأثيرها على عبادته وشكره، ثم تأتي بعدها المحنة المحترمة للصابر ليُرى هل هو من الصابرين على الضراء المؤمنين بقضاء الله وقدره، أم غير ذلك من الذين إذا رُزقوا شكروا وإذا امْتُحِنُوا كفروا والعياذ بالله.

وليس هذا وحسب؛ بل إن البشارات النبوية التي تشحن الهمم وتثبت القلوب لا تكاد تُعد أو تحصى لكثرت ما جاءت بها السُّنة النبوية، كيف لا؛ ونحن نقرأ أيضاً قوله جَلَّ وَعَلَا في مواضع كثيرة عن بشارات المؤمنين؛ كقوله بعد بسم الله الرحمن الرحيم:

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ (1).

وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (2).

وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (3).

وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (4). (المُخْبِتِ) الخاضع لربه، المستسلم لأمره، المتواضع لعباده.

وقيل (المُخْبِتِينَ) الراضين المطمئنين لقضاء الله وقدره، والخاشعين المخلصين بما يسرّهم.

1- سورة البقرة: 25 .

2- سورة البقرة: 155 .

3- سورة التوبة: 112 .

4- سورة الحج: 34 .



نعم إخواني بالله؛ لقد أرشدنا رسولنا ﷺ إلى أن المؤمن دائماً أمره خير، إذا أصابته سراء كان خيراً له، وإن أصابته ضراء أيضاً كان خيراً له.

لأن في كليهما الخير والثواب، فهو الراجح في النهاية، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، كما جاء في الحديث السابق.

فالعبد دائماً بين نعمة من الله يحتاج فيها إلى شكر، وذنوب منه يحتاج فيه إلى الاستغفار. (1).

ولله در القائل:

قد يُنعمُ اللهُ بالبلوى وإن عَظُمَتْ ويبتلي اللهُ بعضَ القومِ بالنعمِ

والمؤمن الذي يعمر الإيمان قلبه، يلجأ دائماً إلى الله تعالى في السراء والضراء، فهو يصبر على البلاء، ويرضى بالقضاء، ويشكر في الرخاء، ويسأله العون وتفريج الكرب فهو على كل شيء قدير، ولأن ثقته بالله تعالى عظيمة.

أمّا غير المؤمن فيضعف أمام الشدائد، فقد ينتحر، أو يبأس، أو تنهار قواه، ويفقد الأمل لأنه يفتقر إلى النّزعة الإيمانية، وإلى اليقين بالله.

1- مجموع الفتاوى (88/10).





5- حديث (وُضُوْلُ السَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ).

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ، يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ). (1).

وفي هذا الحديث يقول النبي ﷺ: "إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً"، أي: جماعة من الملائكة من عملهم ووظيفتهم كونهم "سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ"، أي: يطوفون فيها ويمشون في طرقها، "يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ"،

أي: يُخْبِرُونَ النبي ﷺ وهو في برزخه بمن يصلي ويسلم عليه ﷺ وإن بُعد مكانه وتباعد زمانه، ولعل هذه من المكرمات الإلهية الخاصة بهذه الأمة التي وصلها الله تعالى بنبيها حين حياته وحتى بعد انتقاله، فهو ﷺ الرحمة المهداة لنا من الرحمن الرحيم جلّ وعلاً.

كيف لا، وهو القائل رُوحِي لَهُ الْفِدَاءُ ﷺ: (قَالَ مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أُرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ). (2).

ولعل هذا من الأدلة الدامغة على عظيم قدر العبد المؤمن عند الله تعالى، نعم؛ فأبي شيء أكبر من هذا المقام الذي يكون للعبد عند الله بأن يرد لأجله روح نبيه ﷺ ليرد عليه السلام.

1- أخرجه النسائي (1282) وإسناده حسن، وأحمد (3666).

2- سنن أبو داود (2041)، وأحمد في مسنده (10815).



من فوائد هذا الحديث:

- 1- الحثُّ والترغيب في كثرة الصلاة والسلام على النبي ﷺ.
- 2- بيانُ تعظيمِ اللهِ سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ، وإجلال منزلته الرفيعة.
- 3- بيان معجزة من معجزاته ﷺ.
- 4- أن الصلاة على النبي ﷺ تصل إليه، بتبليغ الملائكة له، قَرَّبَ المسلم أم بُعد.
- 5- أن الملائكة أقسام وأنواع، يختص كل نوع منهم بأعمال معينة، كهؤلاء الذين يكثرون السياحة في الأرض، ويبلغون النبي ﷺ السلام من أمته.

من الشواهد التي تحت على الصلاة والسلام عليه ﷺ:

حديث ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (أولى النَّاسِ بي يومَ القيامةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً). (١).

وقوله ﷺ "إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بي يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، أي: إِنَّ أَحْصَّ أُمَّتِي بي، وأقربهم مني، وأحَقُّهم بشفاعتي.

وقوله "أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً"، أي: أَكْثَرُهُمْ صَلَاةً عَلَيَّ النَّبِيِّ ﷺ فِي الدُّنْيَا.

والشاهد هنا أن الملائكة السَّيَّاحِينَ المذكورين في الحديث، الذين يبلغون النبي ﷺ السلام عليه من الناس، هم أيضاً يبلغونه الصلاة عليه من أمته، وبتكرار هذا النقل والتبليغ للصلاة والسلام عليه رُوحِي له الفداء، يكونون أولى الناس بشفاعته ﷺ يوم القيامة.

١- رواه الترمذي (484) واللفظ له، وابن حبان (911).



جانب من شرح الحديث:

حقيقة إن شرح مثل هذه الأحاديث لا يتسع لها كتاب أو اثنين، لكثرة ثمارها وفوائدها، ولكن نقف على جانب منها، فقد قال بعض أهل العلم: بأن الله تعالى قد خص هذه الأمة بأمر ليست في غيرها من الأمم، ومنها فضيلة الصلاة على النبي ﷺ التي لم تكن في الأمم السابقة.

ومن ذلك أيضاً أنه جلّ وعلاً خصص لها ملائكة مكرمين لا شغل لهم إلا إيصال السلام عليه ﷺ وذلك لعظيم شرفها وثوابها.

كيف لا، وهي بهد ذاتها امتثال لأمر الله جلّ وعلاً، القائل في كتابه المجيد؛ بعد بسم الله الرحمن الرحيم: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا). (١).

ثم إن الباحث في فضائل الصلاة على النبي ﷺ سيجد مئات الكتب المؤلفة في فضلها وبركتها وأبوابها وصيغها.

ورحم الله القائل:

الله عظم قدر جَاه محمدٍ
في مُحكم التنزيل قال لخلقهِ
وأناهُ فضلاً لديه عظيماً
صَلُّوا عليه وسلِّمُوا تسليماً

١- سورة الأحزاب (56).



من اللطائف التي استوقفتني بهذا الحديث:

أقول: لا شك أن الإيمان بالملائكة أصلٌ من أصول الإيمان الستة، وأن الملائكة موكِّلون بأعمال كثيرة كما هو معروف، ولكن هنا نتعرف على ملائكة من نوع خاص، مهمتهم الانتشار في الأرض لتبليغ النبي ﷺ السلام عليه من أي مكان في الدنيا، فمن أهل الأرض إلى أهل الجبال، ومن أهل البحار إلى أهل السماء، وإلى أي عوالم أخرى لا يعلمها إلا الله، ستذهب إليهم هذه الزمرة الطاهرة من الملائكة لإيصال سلامها على النبي ﷺ، فأبي تكريم هذا لهذه الأمة من الله جلّ وعلاً.

بل إن هناك جوانب لطيفة في هذا الحديث؛ وهي أن المسلم المكثر للصلاة والسلام على النبي ﷺ يكون في حالة حضور دائم مع الملائكة المختصة بنقل هذا السلام، فانظر أي عظيم شأن لهذا المسلم عند الله تعالى.

بل وانظر لوجوه المكثرين من الصلاة والسلام على النبي ﷺ كيف يغلب عليهم بشاشة الوجه وسمت الصالحين، كيف لا؛ وهم في حضور دائم مع هؤلاء المخلوقات النورانية، وفي ذلك قول لطيف لابن الجوزي في قصة ساقها في بستان الواعظين؛ قال: فإذا كانت الصلاة على النبي ﷺ تورث تنوير الوجه بعد الممات، فأولى أن تورث تنوير القلوب في الحياة، وذلك أن الله تعالى جعل شخصه ﷺ نوراً، وقد سماه في كتابه سراجاً منيراً في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً، وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً). (1).

وبشّر من اتبع أمره وسنته بالنور، فقال تعالى: (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ). (2).

١- سورة الأحزاب (45-46).

2- سورة الزمر (22).



ومن اللطائف التي لا بد من ذكرها، هي الجوانب التي تقترن بوصول السلام على رسول الله ﷺ، وقد وقف أهل العلم على الكثير من هذه اللطائف، وأُفردت لها كتبٌ ومجلدات كثيرة، ومن هذه الجوانب على سبيل الذكر:

- 1- يؤجر المصلي والمُسلم على النبي ﷺ بكل صلاةٍ عشر حسنات.
 - 2- يُرفع المصلي والمُسلم على النبي ﷺ بكل صلاةٍ عشر درجات.
 - 3- يغفر للمصلي والمُسلم على النبي ﷺ بكل صلاةٍ عشر سيئات.
 - 4- يكون للمصلي والمُسلم على النبي ﷺ سبباً في شفاعته له يوم القيامة.
 - 5- يكفي الله العبد المصلي والمُسلم على النبي ﷺ ما أهمه.
 - 6- تصلي الملائكة على العبد المصلي والمُسلم على رسول الله ﷺ.
 - 7- الصلاة والسلام على النبي ﷺ تُعتبر امتثالاً لأوامر الله تعالى.
 - 8- الصلاة والسلام على النبي ﷺ تنقذ المسلم من صفة البخل.
 - 9- الصلاة والسلام على النبي ﷺ دليل صادق وقطعي على محبته.
 - 10- ولا شك أن من أهم المنح في الصلاة والسلام على النبي ﷺ أن المسلم يتشرف بعرض اسمه واسم أبيه على النبي ﷺ في كل مرة عن طريق الملائكة الكرام الموكلين بذلك، فتقول الملائكة فلان ابن فلان يُقرئك السلام يا رسول الله.
- ولا يقتصر فضل الصلاة والسلام على النبي ﷺ على هذه الفوائد فقط، بل وإن ثمارها وخيراتها لا حصر لها أو عدد، وكلها تعود على المسلم بالنعف والخير في الدنيا والآخرة.



فَالْكَرِيمُ الْكَرِيمُ



6- حديث (الملائكة الطوافون وأهل الذكر).

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطَّرِيقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ قَالَ: فَيَحْفُوفُهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ - وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ - مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيُحْمَدُونَكَ وَيُجَدِّدُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَعَجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ. قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ عَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْتَقِي بِهِمْ جَلِيسُهُمْ). (١).

١- صحيح البخاري (6408).



جانب من شرح الحديث:

قال أهل العلم أن هؤلاء المذكورين في هذا الحديث هم عبادٌ يؤمنون بالغيب إيماناً تاماً، فهم لم يروا الله عز وجل، ولكن الكون دلهم عليه فآمنوا بالله غيباً، ولم يروا الجنة ولكن الله أخبرهم عنها فآمنوا بها، ولم يروا النار ولكن الله أخبرهم عنها فآمنوا بها واستعاضوا منها، فكان جزاء ذلك أن الله تعالى غفر لهم جميعاً، بل وحتى غفر لمن جلس معهم ولم يكن منهم، وذلك كرم ما بعده كرم.

وقد جاءت عدة روايات لهذا الحديث تدور كلها حول موضوع واحد، كما أن لهذا الحديث عدة روايات أخرى وردت بلفظ مختلف، كما في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فَضُلًّا يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ... (١). / مَلَائِكَةً سَيَّارَةً / أي: سياحون في الأرض. وكذا من حديث أبي هريرة وأبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال (لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَعَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ). (٢).

١- صحيح مسلم (2689).

٢- صحيح مسلم (2700).



من فوائد هذا الحديث:

- 1- في الحديث: الترغيب في حضور مجالس الذكر.
- 2- نفي الشقاء على من يذكر الله أو على من يجالس الذاكرين.
- 3- بيان محبة الملائكة للمطيعين من بني آدم، واعتنائهم بهم.
- 4- بيان أن ما اشتملت عليه الجنة من أنواع الخيرات، وما اشتملت عليه النار من أنواع المكروهات أعظم مما وصفتا به.
- 5- أن الرغبة والطلب من الله تعالى والمبالغة في ذلك من أسباب الحصول على المراد.

من الشواهد لهذا الحديث:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قيل: يا رسول الله وما هي رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر). (١).

وكثيرة هي الشواهد التي تدور في نفس فلك هذا الحديث الشريف، جعلنا الله وجميع المؤمنين من أهل الذكر، ووقفنا لكل ما يجب ويرضى.

١- أخرجه الترمذي (3510)، وأحمد (12545)، وأبو يعلى (3432) واللفظ له.



من اللطائف التي استوقفتني بهذا الحديث:

أقول: إن هذا الحديث العظيم مقالته الكبير بهيبته ليريح قلوب العباد من صالحهم وعاصيهم ومن جنهم وإنسهم، وفوائده جليلة لا تكاد تُحصى لكثرتها، ونقف هنا على آخر الفاظه، وهو قوله تعالى: (فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ عَفَرْتُ لَهُمْ) وقوله: (لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ) ثم قوله: (بِهِمْ) وقوله: (جَلِيسُهُمْ). ونرى كيف يُشهد الله تعالى الملائكة على أمرٍ عائدٍ بكليته له سبحانه، وما هذا إلا لتأكيد عظيم غفران الله تعالى ورضاه عن الذاكرين. ثم نرى كيف جعل عباده الذكركين سبباً لنجاة إخوانهم أصحاب الشقاء، والشقاء كما هو معلوم: هو العسر والتعب والشدة والمحنة، ويصح أيضاً القول بأن الشقاء هو الضلال.... وغيره.

ومن ذلك بأن الصحبة الصالحة تنفع بإذن الله صاحبها. ثم يؤكد الله تعالى على أن الصُحبة الصالحة هي السبب بقوله تعالى (بِهِمْ)، ثم يأتي التعريف في سبب هذا الغفران والمنحة الإلهية في قوله تعالى: (جَلِيسُهُمْ) أي الذي نُسب إليهم ونالَ حظهُ من المغفرة بسبب الجلوس معهم، وبالرغم من أن هذا المجلس ليس منهم، وجاء حاجة خاصة به، عدا عن كونها قد تكون حاجة دنيوية أو ما شابه ذلك، لكن الله تعالى جعل هذا الغفران منوطاً بمجالسته للذاكرين.

وقوله: (بِهِمْ)، للدلالة عليهم، أي بسببهم هم، فإذا كان هذا المجلس للذاكرين، فكيف بمن كان ذاكراً مثلهم، وكيف لو كان هذا المجلس منهم أصلاً، وكيف لو كان المجلس طالب علمٍ، وكيف لو كان المجلس مجاهداً في سبيل الله، اللهم اجعلنا من الذاكرين الذين أشهدت الملائكة على غفرانك لهم، آمين.



وفي أهمية الذكر يقول الإمام الغزالي رحمه الله: ليس بعد تلاوة كتاب الله عز وجل عبادة تؤدي باللسان أفضل من ذكر الله تعالى، ورفع الحاجات بالأدعية الخالصة إلى الله تعالى. (١).

وقال سعيد بن جبير: الذكر طاعة الله، فمن أطاع الله فقد ذكره، ومن لم يطعه فليس بذاكرٍ له، وإن كثر منه التسبيح وتلاوة القرآن. (٢).

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي: الأعمال كلها يُفرغ منها، والذكر لا فرغ له ولا انقضاء، والأعمال تنقطع بانقطاع الدنيا ولا يبقى منها شيء في الآخرة، والذكر لا ينقطع، المؤمن يعيش على الذكر ويموت عليه، وعليه يبعث. (3).

قال مالك بن دينار: ما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله عز وجل.

قال عون بن عبد الله بن عتبة (٤): مجالس الذكر شفاء القلوب.

قال ابن تيمية رحمه الله: قال بعض الحكماء: الذكر للقلب بمنزلة الغذاء للجسد، فكما لا يجد الجسد لذة الطعام مع السقم، فكذلك القلب لا يجد حلاوة الذكر مع حُب الدنيا.

١- إحياء علوم الدين / كتاب الأذكار والدعوات.

٢- كتاب من أعلام السلف / درر من أقوال الإمام سعيد بن جبير رحمه الله.

٣- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف؛ ص 291

٤- أبو عبد الله عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي، الإمام القدوة العابد، تابعي وأحد رواة الحديث النبوي. أخو فقيه المدينة عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، حدث عن أبيه وأخيه وابن المسيب وابن عباس وعبد الله بن عمرو وطائفة .

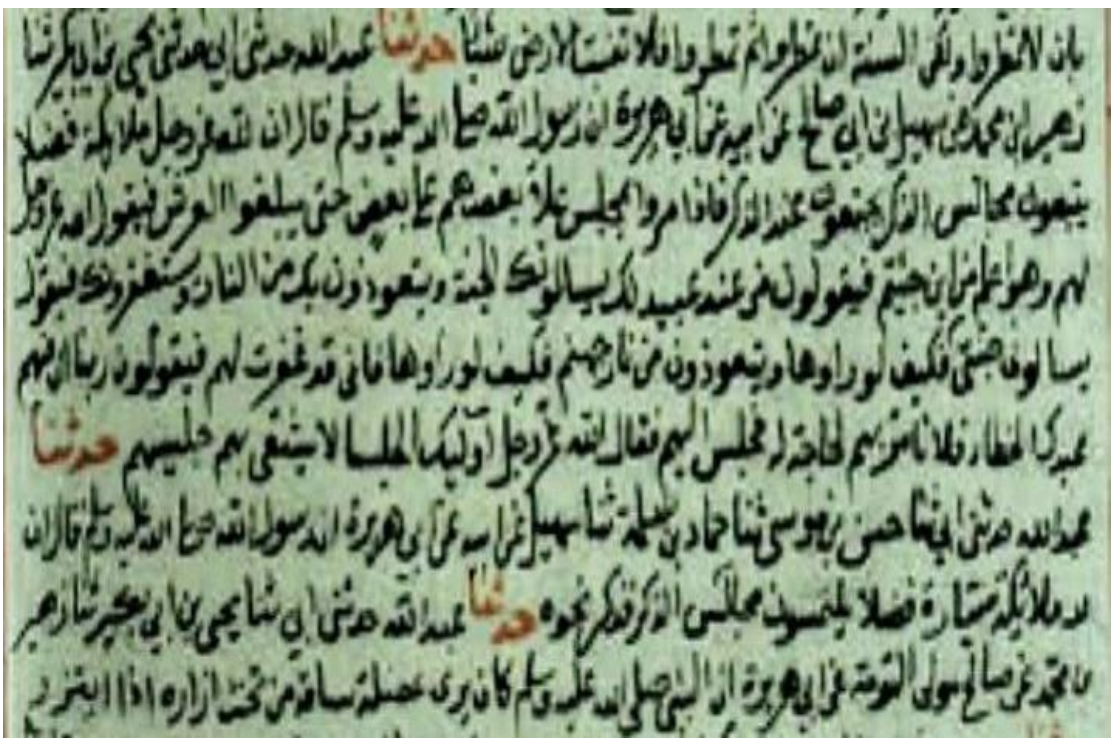
وحدث عن السيدة عائشة رضي الله عنها، وأبي هريرة لكن قيل: روايته عنها مرسل، وأرسل أيضا عن عم أبيه عبد الله بن مسعود، ووثقه أحمد وغيره، وقال علي ابن المديني: صلى عون خلف أبي هريرة، وقال البخاري: عون سمع أبا هريرة . سير أعلام النبلاء / ص: 104 .



إحدى مخطوطات مسند الإمام أحمد ج 1. وأصل هذه النسخة محفوظة في مكتبة الحرم المكي.



صفحة حديث (الملائكة وأهل الذكر) من مخطوط مسند الإمام أحمد.



7- حديث (اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وابنُ عَبْدِكَ).

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:
 (ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن، فقال: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وابنُ عَبْدِكَ،
 وابنُ أُمَّتِكَ، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدلٌ في قضاؤك، أسألك بكلِّ
 اسمٍ هو لك سميت به نفسك، أو علمته أحدا من خلقك، أو أنزلته في
 كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي،
 ونور صدري، وجلاء حزني، وذهب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه،
 وأبدله مكانه فرجا، قال: فقيل: يا رسول الله ألا نتعلمها؟ فقال بلى، ينبغي
 لمن سمعها أن يتعلمها). (١).

من هذه الأحاديث العظيمة نرى أي فضلٍ وكرمٍ هذا الذي غمرنا به ربنا جلَّ
 وعلا، وأي فضلٍ فاض علينا من مشكاة النبوة، فرسول الله ﷺ يرشدنا
 ويوصينا ويعطينا مفاتيح القبول التي ندخل بها على جناب الحق سبحانه،
 ويعلمنا أن ندعوا ليُستجاب لنا، وكما في حديث النعمان بن بشير رضي الله
 عنه، عن النبي ﷺ قال: الدعاء هو العبادة ثم قرأ:
 (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي
 سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ). (٢).

١- أخرجه أحمد (3712) واللفظ له، وابن حبان (972)، والطبراني (210/10) (10352)
 باختلاف يسير.

3- أخرجه أبو داود (1479)، والترمذي (2969)، وابن ماجه (3828).



من فوائد هذا الحديث:

- 1- في الحديث أن الأسماء الحُسنى غير محصورة في عدد معين، بل منها ما لا يعلمه إلا الله سبحانه.
- 2- وأن هناك خواص من عباد الله الصالحين يَعْلَمُهُمْ سبحانه أسماء الحُسنى، ولا شك أن الأنبياء والمرسلين في أول هذه الزمرة، وبعدهم يأتي الخواص من الصحابة، فالخواص من التابعين، والخواص من الأولياء، وهكذا في كل زمان تكون مشيئة الله أن يكون له خواص من جملة عباده المقربين.
- 3- وفيه بيان أهمية الدعاء والتوسل إلى الله في إزالة الكربات.

من الشواهد لهذا الحديث:

حديث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (مَنْ أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ حَزَنٌ فَلْيَدْعُ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ يَقُولُ: أَنَا عَبْدُكَ وَابْنُ أُمَّتِكَ فِي قَبْضَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَا ضِ فِي حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِي قَضَاؤِكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ نُورَ صَدْرِي، وَرَبِيعَ قَلْبِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي وَعُجْمِي"، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْمَغْبُورَ لَمَنْ عَنِ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ، قَالَ: "أَجَلْ، فَقُولُوهُنَّ وَعَلِّمُوهُنَّ، فَإِنَّهُ مَنْ قَالَهُنَّ التَّمَّاسَ مَا فِيهِنَّ أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حُزْنَهُ، وَأَطَالَ فَرَحَهُ". (١).

١- أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد للهيثي (139/10)، وابن ابن السُّنِّي في: عمل اليوم والليلة (339).

جانب من شرح الحديث:

لا شك أن شرح هذا الحديث يطول لكثرة ما فيه من جوامع الكلم، لكن سنقف على بعض الألفاظ التي تختصر بعض الأمور المهمة؛ منها أن العبد يفتتح هذا الدعاء بالإقرار على نفسه والاعتراف بالعبودية لله تعالى، وأنه عبد مملوك لله، هو وآباؤه وأمهاته، ابتداءً من أبويه المقربين، وانتهاءً إلى آدم وحواء، لأنه لم يكتب بقوله: (إِنِّي عَبْدُكَ) بل زاد فيه بقول (وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أُمَّتِكَ) دلالة على التأكيد والمبالغة في التذلل والعبودية لله تعالى؛ لأن مَنْ مَلَكَ رجلاً ليس مثل مَنْ مَلَكَهُ مع أبويه). (١).

قال أهل العلم أن هذا يدلنا على أهمية الأدعية الشرعية لكمالها في ألفاظها ومعانيها، وجلال مقاصدها ومدلولاتها. وقوله: (نَاصِيَتِي بِيَدِكَ) أي مقدمة الرأس بيد الله تعالى، يتصرف فيه كيف يشاء، ويحكم فيه بما يريد، لا معقب لحكمه، ولا رادّ لقضائه. (٢).

وقوله: (عَدْلٌ فِي قَضَائِكَ): هو إقرار بالرضا من العبد على جميع ما اقتضاه سبحانه وتعالى عليه، من كل الوجوه: من صحة وسقم، وغنى وفقر، ولذة وألم، وحياة وموت، وعقوبة وتجاوز وغير ذلك، وأنه عدل لا جور فيه، ولا ظلم فيه بأي وجه من الوجوه، ومن ذلك قوله تعالى: (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ). (3).

١- العلم الهيب في شرح الكلم والطيب / ص 343 .

٢- فقه الأدعية، 4 / 192.

٣- سورة فصلت، الآية: 46 / العلم الهيب في شرح الكلم الطيب، ص 343.



وقوله: (أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ) أتوسّل إليك بكل اسم من أسماءك الحسنى، وهذا هو أعظم أنواع التوسّل إلى الله تعالى بالدعاء، كما قال تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا). (١).

وقوله: (سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ) أي اخترته لنفسك الذي يليق بكمالك وجلالك.
وقوله: (أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ) أي في كتبك المنزلة على رسلك.

وقوله: (أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ): أي من الملائكة والأنبياء وخواص عبادك من الأولياء والمقربين، ولا شك أن أقرب الخلق منزلةً على الإطلاق هو سيدنا محمد ﷺ، فهو الذي خصه الله تعالى دون غيره.
كما في حديث الشفاعة الطويل الذي يقول فيه: (فَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدٍ لَمْ يَحْمَدْهُ بِهَا أَحَدٌ كَانَ قَبْلِي، وَلَيْسَ يَحْمَدُهُ بِهَا أَحَدٌ بَعْدِي...). (٢).
وقوله: (أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ): أي خصصت به نفسك في علم الغيب، فلم يطلع عليه أحد، وهذا يدلّ على أن أسماءه الحسنى جلّ وعلا غير محصورة في عدد معين.

١- سورة الأعراف / 180.

٢- أخرجه أحمد (13590)، ومحمد بن نصر المروزي في (تعظيم قدر الصلاة / 265)، وابن خزيمة في (التوحيد؛ 613/2) واللفظ له .



وقد جعل سبحانه وتعالى أسماء ثلاثة أقسام:

- قسمٌ سُمِّيَ به نفسه، فأظهره لمن شاء من أنبيائه ورسوله، وملائكته أو غيرهم، ولم يُنزله في كتابه.
- وقسمٌ أنزله في كتابه، فتعرّف به وعرّف إليه عباده.
- وقسمٌ استأثر به في علم الغيب عنده لا يطّلع عليه أحد، فتضمّن هذا الدعاء المبارك التوسّل إليه تعالى بأسمائه الحسنى كلّها، ما علم العبد منها، وما لم يعلم.

والعلم بأسماء الله وصفاته أصل لكل العلوم؛ لأنه كلّما كان العبد عظيم العلم والمعرفة بالله تعالى وأسمائه وصفاته زادت خشيته لربه، وعظمت مراقبته وعبوديته له جلّ وعلا، وازداد بُعداً عن الوقوع في سخطه ومعصيته؛ ولهذا كان أعظم ما يطرد الهمّ والحزن والغمّ أن يعرف العبد ربه بأسمائه وصفاته، وأن يعمر قلبه بذكرها، والثناء بها عليه، واستحضار معانيها. (١).

ثم نرى بعد أن قدّم جُملاً من الإقرار بالتذلل والخضوع له تعالى، والإيمان بكمال حكمه وقضائه وعدله، وتوسّل إليه كذلك بأفعاله، ثم توسّل إليه بجميع أسمائه الحسنى وصفاته العُلا، فجمع ثلاثة أنواع من التوسّلات الجليلة مقدمة بين يدي دعائه، دلالة على أهمية هذه الوسائل في إعطاء ما يسأله العبد ربه عز وجل.

ولعلّ المؤمن المتأمل لهذا الحديث الجامع يرى عظمة معاني هذا الدعاء المبارك، وما تضمّنه من مقاصد ومعانٍ جليلة، كيف لا وقد قال رُوحِي له الفداء ﷺ (يُنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا).

١- فقه الأدعية والأذكار 4 / 192.



من اللطائف التي استوقفتني بهذا الحديث:

أقول: إن هذا الحديث الجامع المانع لهو من جملة خير ما يتوجه به العبد إلى الله تعالى، فهو يضم بين سطوره الإقرار بالربوبية، والتذلل لعظيم جناب الحق سبحانه، والتوجه إليه بعظيم أسائه الحسنى التي أكرم بها خاصة عباده.

ومن ناحية أخرى يرشدنا هذا الحديث للبحث الدؤوب عن عباده الذين اختصهم سبحانه وعزّفهم ببعض أسائه الحسنى وارتضى لهم منازل القبول. ومن ذلك قول لطيف نقله العلامة الفقيه يوسف ابن عبد الهادي الحنبلي؛ قال: "وقد روينا في وصية الشيخ عبد القادر رضي الله عنه: أنه قال: يكفيك من الدنيا خدمة وليّ، أو صحبة عالم". (١).

وهنا إشارة إلى أن ملازمة أهل العلم والصلاح والتقوى لا بد أن ننتفع منها، فبصحتهم يتنقل العبد بين مراتب القبول، فمن الأدب إلى العلم، ومن مراقبة القلب إلى مراقبة الله، ثم إلى مفاتيح العبادات، وذلك عبر المنهج الذي يكون على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ والذي سار عليه الصحب والسلف.

- ولا بد أيضاً أن نعرج على لطيفة من لطائف هذا الحديث الذي يعتبر من الدلائل الكبرى على محبة الله لعباده، وذلك أنه جَلَّ وَعَلَا أذن لنا أن نتوجه إليه بجوامع الكلم هذه، والتي تدل أيضاً على عظيم محبة النبي ﷺ لأُمَّته كافة، ولذلك دلنا على هذا الحديث، وهو الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ.

1- من كتاب (صب الخمول على من وصل أذاه إلى الصالحين من أولياء الله) للإمام جلال الدين يوسف بن عبد الهادي، الشهير بابن الميرد الحنبلي. وانظر: "حلية الأولياء" لأبي نعيم (10 / 354).



يقول السلف من أهل الحديث؛ أن حديث ابن مسعود هذا حديث عظيم، وكل أحاديث الرسول ﷺ عظيمة وشريفة، فقد اشتمل هذا الحديث على مسائل عقدية كبرى تعد أصولاً عظيمة: من الإيمان بالله، وتوحيده بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، كما تضمن الإيمان بقضاء الله وقدره، وكمال عدله، والتوكل عليه، والالتجاء إليه، والاستعانة به، والتوسل إليه بأسمائه الحسنى، والتعلق بكتابه العظيم، الذي تضمن شفاء الصدور وجلاء القلوب. وقال المناوي رحمه الله: إذا تمنى أحدكم خيراً من خير الدارين فليكثر الأمانى، فإنما يسأل ربه الذي ربّاه وأنعم عليه وأحسن إليه، فيُعْظَم الرغبة ويوسّع المسألة.

ومن أدل الأدلة على عظم منزلة هذا الحديث، ومكانة هذا الدعاء: قول النبي ﷺ، حيث سئل: (يا رسول الله ألا تتعلمها؟ فقال: بلى، ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها).

قال ابن القيم رحمه الله: (وأما حديث ابن مسعود «اللهم إني عبد ابن عبدك» ففيه من المعارف الإلهية، وأسرار العبودية، ما لا يتسع له كتاب). (١). وقال في موضع آخر: (فتضمن هذا الحديث العظيم أموراً من المعرفة والتوحيد والعبودية). (٢).

1- زاد المعاد 4/189.

2- الفوائد ص 22.



والأكثر من ذلك



8- حديث (سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ).

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ: جُمْدَانُ، فَقَالَ: سِيرُوا، هَذَا جُمْدَانُ، سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ، قَالُوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ). (١).

قال المناوي في فيض القدير: (سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ) أي المنفردون المعتزلون عن الناس، من فردٍ إذا اعتزل وتخلّى للعبادة، فكأنه أفرد نفسه بالتبتل إلى الله، أي سبقوا بنيل الزلفى والعروج إلى الدرجات العلى. (٢).

وفي هذا الحديث يُخبرُ أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ: جُمْدَانُ، وَهُوَ جَبَلٌ يَبْعَدُ عَنْ مَكَّةَ نَحْوَ 100 كم، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِالسَّيْرِ - أي الاجتهاد في المشي - قَائِلًا: «هَذَا جُمْدَانُ»، أَرَادَ التَّنْبِيهَ عَلَيْهِ ﷺ.

وقال بعدها «سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ»، أي: الْمُفْرَدُونَ أَنفُسَهُمْ عَنْ أَقْرَانِهِمْ، الْمُمَيِّزُونَ أَحْوَالَهُمْ عَنْ إِخْوَانِهِمْ بِكَثْرَةِ ذِكْرِهِمْ لِلَّهِ لِنَيْلِ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى؛ لِأَنََّّهُمْ تَمَيَّزُوا بِذِكْرِ اللَّهِ عَمَّنْ لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ، أَوْ جَعَلُوا رِبَّهُمْ فَرْدًا بِالذِّكْرِ، وَتَرَكُوا ذِكْرَ مَا سِوَاهُ.

1- صحيح مسلم (2676) / كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى 4 / 2062 (2676).

2- روي بتشديد الراء وتخفيفها. قال النووي في الأذكار: والمشهور الذي قاله الجمهور التشديد. اهـ



جانب من شرح الحديث:

لقد جمع النَّبِيُّ ﷺ في هذا الحديث بين كثرة ذكر الله تعالى، وبين فضيلة الذين يذكرون الله كثيراً بأن وصفهم بالسابقين، ونرى الصحابة رضي الله عنهم عندما سألوا النبي ﷺ: «وَمَا الْمُفْرِدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟» أجاب ﷺ بأن التفريد الحقيقي المُعتد به، هو تفريد النفس بذكر الله تعالى في أكثر الأوقات، فكأنهم قالوا: ما صِفَةُ الْمُفْرِدِينَ حتى تتأسى بهم، فنسبِق إلى ما سبقوا إليه؟ «قال: الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا».

أي: ذِكْرًا كَثِيرًا في أكثر أحوالهم، وهذا السياق يدل على أهمية الذكر الكثير، وهو ما أمر الله به في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا - وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا). (١).

ويصح ذكر الله باللسان فقط، ويصح بالقلب فقط، وأعلى مرتبة هو الذكر باللسان مع حضور القلب مع التضرع لله والتوجه إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا والتماس أوقات البركة التي حثنا عليها نبينا ﷺ، ويكون ذكر الله سبحانه بكل ما ورد في كتابه تعالى، وسُنَّة نبيه ﷺ.

قيل: وإنما ذكر النبي ﷺ هذا القول عُقِيب قوله: «هذا جُمْدَانُ»؛ لأن جُمْدَانِ جبلٌ منفردٌ بنفسه هنالك، وليس بجذائِه جبل مثله، فكأنه تَفَرَّدَ هناك، فذَكَرَهُ بهؤلاء المُفْرِدِينَ. (٢).

1- سورة الأحزاب: (41-42).

2- كذا عند القرطبي في المُفْهَم (9/7).



من فوائد هذا الحديث:

1- في الحديث أن ذكر الله غير منحصر بصيغة معينة، ومن ذلك قول الإمام النووي: اعلم أن فضيلة الذكر غير منحصرة في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوها، بل كل عامل لله تعالى بطاعة فهو ذاكراً لله تعالى، كذا قال سعيد بن جبير وغيره من العلماء. (1).

2- وفي الحديث يخبر النبي ﷺ أن الذين يكثر من ذكر الله تعالى هم السابقون، وقد وعد الله السابقين بالثواب الجزيل والنعيم المقيم؛ فقال تعالى: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ، فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) سورة الواقعة. وهذا يدعو المسلم الحريص إلى الإكثار من ذكر الله تعالى بجميع أصنافه.

من الشواهد لهذا الحديث:

حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (أَلَا أَنْبَأُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟) قالوا: بلى، قال: ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى. (2).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «إن آخر كلام فارقت عليه رسول الله ﷺ أن قلت: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؟ قَالَ: «أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» (3).

1- الأذكار للنووي ص 9 .

3- أخرجه الترمذي (3377) واللفظ له، وابن ماجه (3790)، وأحمد (6 / 447).

4- المعجم الكبير للطبراني



من اللطائف التي استوقفتني بهذا الحديث:

أقول: من لطيف سياق نص الحديث نرى كيف بدأ النبي ﷺ الكلام مع أصحابه رضي الله عنهم، أي أنه روجي له الفداء هو من كان يبادرهم الكلام في الأمور التي تعود عليهم بالنفع والثواب، وذلك لشدة كرمه وتواضعه وحسن أخلاقه ﷺ معهم.

ولقد عُرف بأن الصحابة رضي الله عنهم يخشون مضايقته ﷺ بكثرة المسائل والكلام، فلا يتحدثون معه كثيراً خشية إدخال الضيق عليه، إلا إن بدأهم ﷺ بالكلام، لذا كان في كلامه ﷺ معهم فتح لباب الحديث معه بقولهم له (وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ)، ومن هنا كان يأتي سرورهم، أولاً بسماع صوته ﷺ ومحادثته، وثانياً بالامتثال لقوله.

ونرى كيف حثَّ النبي ﷺ أصحابه على كثرة الذكر بقوله «كثيراً». وأيضاً وصيته ﷺ بقوله: (لا يزال لسائك رطباً من ذكر الله). (١). ومن الشواهد القوية في الحثِّ على الذكر، قوله ﷺ: (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه، مثل الحيِّ والميت). (١).

ثم نرى أنه ﷺ أراد أن يرفع من شأن المرءة في الإسلام، فذكرها بالصفة التي أعطاهها بها رفعةً في القدر والمكانة والثواب، بقوله: (وَالذَّاكِرَاتُ)، فلم يجعلها أقل مكانة من (الذَّاكِرُونَ) بمفردهم، بل جعلها مثيلة لهم بالأجر وشريكةً في السبق لنيل رضى الله سبحانه وتعالى، فأى خير هذا الذي جاء به روجي له الفداء، وأي منهج قويم دعا إليه ﷺ.

١- أخرجه البخاري (6407)، ومسلم (779).

2- سنن الترمذي (3375).



وأما عن فضائل كثرة ذكر الله فهي كثيرة لا تعد ولا تحصى، ويكفي أنه خطاب رباني عظيم موجه للمؤمنين، وليس لغيرهم هذا الخطاب، قد قال سبحانه في كتابه الكريم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا). (١).

نعم: فأبي شرف هذا الذي امتاز به الذكرون بأن وجه لهم الخالق سبحانه خطاباً مخصوصاً لهم، أيضاً وقد خصهم تعالى بمزية خاصة لهم، بأن ناداهم بصفة إيمانهم فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا).

وذكر الله عز وجل سهلاً مُيسراً لكل مسلم، وهو من أفضل الأعمال الصالحة، وكلما ازداد العبد إيماناً وتعلقاً بخالقه جلَّ وعلا كثر ذكره له وثناؤه عليه، ومن فضائل كثرة ذكر الله: الفوز برضاه سبحانه؛ قال تعالى: (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا). (٢).

فالمكثرون من ذكر الله قد هيباً لهم سبحانه من فضله المغفرة لذنوبهم، وأعدَّ لهم الجنة، وقد فازوا برضوان الله تعالى عليهم، وأكرمهم بما وعدهم من المغفرة والأجر العظيم.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (لكل شيء جلاء، وإن جلاء القلوب ذكر الله عز وجل). (3).

فقلب المرء يصدأ باقتراف الذنوب والبعد عن خالقه جلَّ وعلا وبالغفلة عنه، وبالذكر والاستغفار يُجلى ذلك الصدأ ويعود القلب نظيفاً أيضاً نقياً.

١- سورة الأحزاب: 41

٢- سورة الأحزاب: 35

٣- ابن القيم: الوابل الصيب



وحياة القلب منوطاً بالذكر؛ كما قال رسول الله ﷺ: (مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ). (١).

ولذلك وصفها النبي ﷺ بخير الأعمال عند الله؛ قال ﷺ: (أَلَا أُنبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعُهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْثَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: ذِكْرُ اللَّهِ). (٢).

فالتسبيح وذكر الله تعالى من أفضل العبادات عند الله، وهنيئاً لمن أكثر وأتى بما يحبّه الله، بالأجر العظيم.

وهو أيضاً سببٌ للثبات والنصر، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ). (3).

وإن من عظيم منحه الله للذاكرين أن يذكرهم عنده سبحانه؛ كما في الحديث القدسي؛ يقول تعالى: (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ) (4). وقال سبحانه في كتابه الحكيم: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ). (٥).

فأيُّ شرفٍ وقدرٍ ورفيعٍ منزلةٍ من الله تعالى نالها الذاكرون الله كثيراً والذاكرات، اللهم اجعلنا منهم واقبلنا عندك يا أرحم الراحمين.

١- صحيح البخاري: 6407، ومسلم 779.

٢- رواه الترمذي: 3377 واللفظ له، وابن ماجه (3790)، وأحمد (6 / 447).

٣- سورة الأنفال: 45

٤- رواه البخاري 7405، وعند مسلم باختلاف يسير.

٥- سورة البقرة: 152



ولقد حرص السلف على نشر الفضيلة وحثّ العباد على إشغال النفس بكثرة الذكر وترك اللغو والحوض في غمار المعاصي.

فكما يكون في النفس، كذلك يكون في القلب وفي اللسان والجوارح، فهي كلها إما أن تشتغل بالحق وإما فسوف تنشغل بوضده.

يقول ابن القيم رحمه الله: (فهي النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، وهو القلب إن لم تسكنه محبة الله عز وجل سكنه محبة المخلوقين ولا بد، وهو اللسان إن لم تشغله بالذكر شغلك باللغو، وما هو عليك ولا بد، فاختر لنفسك إحدى الخطتين، وأنزلها في إحدى المنزلتين). (١).

قال يحيى بن معاذ: العبد على قدر لهجته بذكر الله يديم ألطاف به.

وقال ابن رجب الحنبلي: من زاد ذكره لله وتلاوته لكتابه زاد إيمانه، ومن ترك الذكر الواجب بلسانه نقص إيمانه.

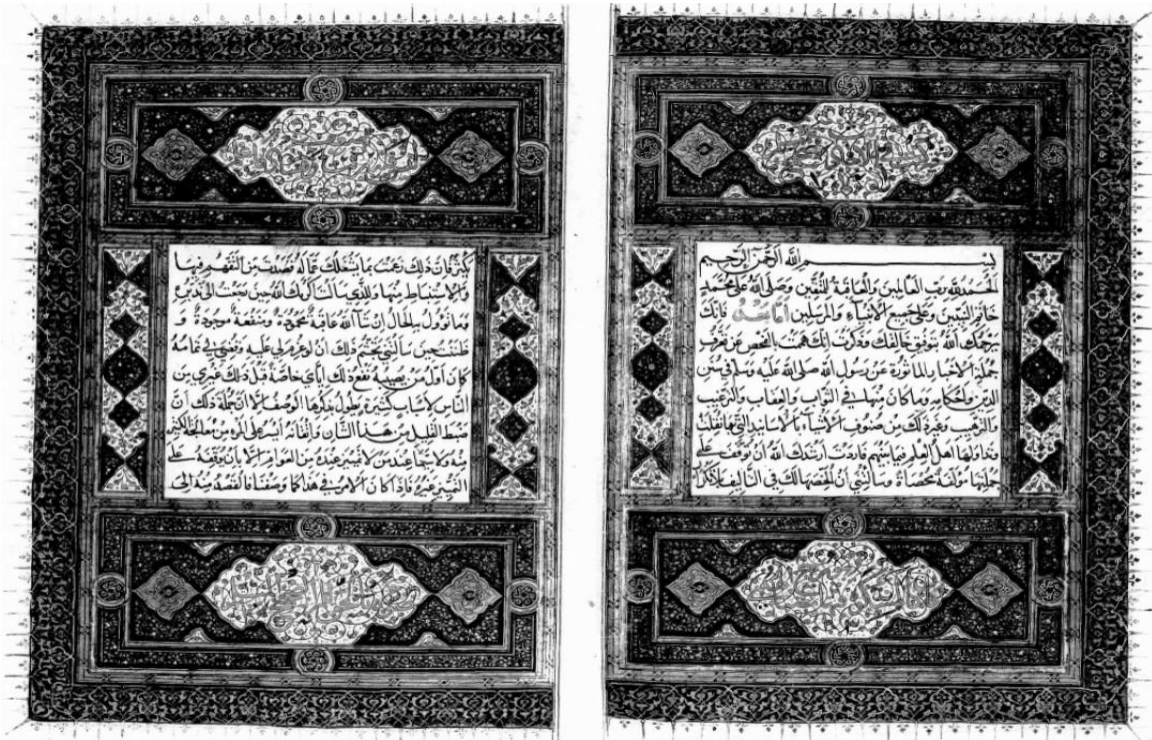
قال ابن تيمية: ملازمة ذكر الله دائماً هو أفضل ما شغل العبد به نفسه في الجملة.

قال رجل لأبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أوصني يا أبا سعيد، قال: عليك بذكر الله، وتلاوة القرآن، فإنها روحك في السماء، وذكرك في أهل الأرض.

١- الوابل الصيب 1/111 .



صورة لمخطوط صحيح الإمام مسلم.



صفحة حديث (سبق المفردون) من مخطوط صحيح الإمام مسلم.

رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 يَسِيرُ فِي طَرِيقٍ مَلَأَتْهُ قُرَى عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ حَمْدَانُ فَقَالَ سِيرُوا هَذَا حَمْدَانُ سَبَقَ الْمَفْرُودُونَ قَالُوا
 وَمَا الْمَفْرُودُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ حَسْبُ عَمْرٍو النَّاسُ أَفْدُ
 وَزُهَيْرِ بْنِ حَرْبٍ وَابْنُ أَبِي عَمْرٍو جَمِيعًا عَنْ سُهَيْبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنِ أَبِي عَمْرٍو قَالَ تَنَاسَفِينَ بَنُ عَيْنَةَ عَنْ
 عَنِ ابْنِ الزُّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أَحْفَظَهَا
 فَدَخَلَ الْجَنَّةَ وَاللَّهُ وَرَجِيحًا وَتَوَدُّ فِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي عَمْرٍو مِنْ أَحْصَاهَا حَمْدًا



9- حديث (التخفيف على المصلين).

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ، فليُخَفِّفْ؛ فَإِنَّ مِنْهُمْ الضَّعِيفَ والسَّقِيمَ والكَبِيرَ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فليُطَوِّلْ ما شاء). (١).

وفي لفظ آخر عن النبي ﷺ قال: (أيكم أم الناس فليخفف فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف وذا الحاجة، وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء). (٢).

نعم: لقد كان النبي ﷺ نعم المعلم والمربي لأصحابه وأمته من بعده، فقد كان يقيم دين الله من جهة، ويتمم الأخلاق من جهة أخرى، وبالرغم من شدته وعدم تهاونه في التعامل مع العبادات، إلا أنه كان يُجِبُّ التخفيف على الناس فيها، وخصوصاً الصلاة؛ حتى لا ينفِرَ الناس، ولا يَمَلُّوا.

ومن ذلك ما جاء في هذا الحديث، حيث يُوصِي النبي ﷺ الأئمة بأن يراعوا حال المصلين في الصلاة، فيقول لهم: (إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِمَامًا بالناس، فليُخَفِّفْ)، يعني: في القراءة والركوع والسجود.

وفي الحديث: بيانُ مُراعاة الشَّرْعِ لأحوال الناس وطاقتهم في العبادات، وأنَّ الإسلام دينٌ يُسِرُّ وليس دينٌ عُسر.

1- رواه البخاري 703

٢- رواه البخاري في (الأذان) (662)، ومسلم في (الصلاة) (714).



جانب من شرح الحديث:

لقد أظهر لنا النبي ﷺ في هذا الحديث العديد من صور الرحمة التي تستحق الوقوف عليها والبحث في معانيها. ومن ذلك نرى كيف راعى النبي ﷺ أحوال الناس كافة ولم يشق عليهم حتى في أهم العبادات، فزاه يأمر بالتخفيف عن الأمة بشكل عام، ثم يأتي بالتخصيص لبيان من هم المقصودين بالتخفيف، ثم يأتي بالأسباب الداعية لذلك.

وعلة الأمر بالتخفيف أن منهم الضعيف في بدنه، والسقيم -أي المريض- والكبير في السن، وغيرهم من أهل الأعذار، وهؤلاء لا يتحملون التطويل.

ثم يقول النبي ﷺ: (وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ مُنْفَرِدًا فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ)؛ أي أن المصلي بمفرده يعرف طاقة نفسه فله أن يطيل ما شاء، وكون المصلي بمفرده قادرٌ على التخفيف إن عرض له تعب أو غيره، بخلاف المأمومين؛ فإنهم محبوسون على الإمام حتى ينتهي.



من فوائد هذا الحديث:

- 1- في الحديث استحباب تخفيف صلاة الجماعة مع الإتمام.
- 2- جواز تطويل صلاة المنفرد ما شاء، ولكن في الفريضة لا يطيل كيلا تصطدم مصلحة المبالغة بالتطويل من أجل كمال الصلاة، مع مفسدة إيقاع الصلاة في غير وقتها.
- 3- وجوب مراعاة العاجزين وأصحاب الحاجات في الصلاة.
- 4- أنه لا بأس بإطالة الصلاة، إذا كان عدد المأمومين ينحصر وآثروا الإطالة.
- 5- أنه ينبغي للإنسان أن يُسهّل على الناس أداء العبادات، ويحببها إليهم، ويُريحهم فيها، لأن هذا من التأليف ومن بيان محاسن الإسلام.

من الشواهد لهذا الحديث:

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (ما صَلَّيْتُ وَرَاءَ إِمَامٍ قَطُّ أَخَفَّ صَلَاةً، وَلَا أَمَّ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِنْ كَانَ لَيَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَيُخَفِّفُ مَخَافَةً أَنْ تُفْتَنَ أُمَّهُ). (1).

ونرى كيف يُخبر سيدنا أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يصلي صلاةً موجزةً خفيفةً غير طويلة، وفي الوقت نفسه يأتي بكماها؛ من تمام الركوع والسجود، والقيام والقراءة، فكان إيجازه وتقصيره للصلاة لا يترتب عليه إخلال بأحد أركانها، وهذا من مراعاة رسول الله ﷺ لأحوال الناس.

1- أخرجه البخاري (708)، ومسلم (469).



من اللطائف التي استوقفتني بهذا الحديث:

أقول: ومن لطيف ما نراه في سياق هذه الأحاديث التي تأمر بالتخفيف على العباد في الصلاة، أننا نلتبس رحمة النبي ﷺ في عظيم الأمور المفروضة، وهو الذي شدد في آخر وصاياه ﷺ التي رواها عنه سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ قال: (كان آخر كلام رسول الله ﷺ: الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم). (١).

ونرى من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه قوله ﷺ (وجعلت قرّة عيني في الصلاة). (٢)،

والشواهد أكثر من أن تُعد أو تحصى لكثرة الآيات والأحاديث والآثار الواردة في تعظم هذه الفريضة العظيمة.

لذا نرى ما أعظم اهتمامه ﷺ في هذا الفرض الكبير، ونرى ما أكبر عقاب تاركه نسأل الله العافية، فهو الفيصل بين المؤمن والكافر، وهو الركن الركين والفرض الذي لم يسقط عن أحدٍ بأي حالٍ من الأحوال، فلا في الحضر ولا في السفر، ولا في البر ولا في البحر ولا للمريض ولا للمعافي، ولا للفقير ولا للغني، بل ولم يسقط عن الأنبياء الذين غفر الله لهم ما تقدم من ذنبهم وما تأخر.

1- أخرجه أبو داود (5156)، وأحمد (585) واللفظ لهما، وابن ماجه (2698) مختصراً.

2- أخرجه النسائي (3939)، وأحمد (14069) باختلاف يسير، والبيهقي (13836) واللفظ له.



ونرى أيضاً من الحديث عظيم رحمته ﷺ بأمته حتى في التعامل مع هذا
 الفرض الذي يعتبر ثاني أركان الإسلام.
 ولو تأملنا كيف يسوق لنا سيدنا أنس رضي الله عنه: كيف إنّه ﷺ (كانَ
 لَيَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَيُخَفِّفُ مَخَافَةَ أَنْ تُفْتَنَ أُمُّهُ)؛ أي مخافة أن تلتهم أمه
 عن صلاتها؛ لاشتغال قلبها ببكاء طفلها،
 لوقفنا عاجزين عن وصف رحمته ﷺ، فوالله أن القلب ليحتر بأبي شيءٍ
 كان رسول الله ﷺ أرحم بنا من غيره، رحيم بالصغار، رحيم بكبار السن،
 رحيم بقلوب الأمهات، رحيم بالمريض، رحيم بالمعافي...،
 كيف لا وهو القائل ﷺ: (إنما أنا رحمة مهداة). (١).
 وكيف لا وهو الذي قال فيه جلّ وعلاً (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ). (٢).
 صلى عليك الله يا سيدي يا رسول الله... يا رحمة مهداة جاءتنا من أرحم
 الراحمين، رحمةً لهذه الأمة المرحومة رغم تقصيرها.
 صلى عليك الله يا علم الهدى، صلى عليك الذي وصف تعاملك مع أمتك؛
 فقال: (بِالْمُؤْمِنِينَ رَعُوفٌ رَّحِيمٌ). (٣).

1- رواه الحاكم (100)، وأخرجه ابن عدي في (الكامل في الضعفاء) (230/4). ورواه ابن أبي

شيبه، والدارمي، والطبراني.

2- سورة الأنبياء: 107

3- سورة التوبة: 128



نعم إخواني بالله وهكذا فإن الإسلام دين اليسر والتيسير، وهو قائم على الرحمة ورفع المشقة والحرج؛ ابتداءً من عظيم الفروض إلى أقل أمور التكاليف والعبادات والمعاملات، قال تعالى: (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ). (١).

وقال سبحانه: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ). (2).

وقال النبي ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ رَضِيَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْيُسْرَ، وَكَرِهَ لَهَا الْعُسْرَ). (3).

وقال ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعْتَبًا وَلَا مُتَعَبًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُبَسِّرًا) (4).

ولحبة الله تعالى للتيسير على الخلق، فإنه ييسر سبحانه على من ييسر عليهم، ويتجاوز عن من يتجاوز عنهم.

وهكذا قد رغب الشرع الشريف ترغيبًا شديدًا في التيسير على عباد الله والتخفيف عنهم: قال ﷺ: (وَمَنْ يَسَّرَ عَلَيَّ مَعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ). (5).

وقال ﷺ: (يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَسَكِّنُوا وَلَا تُنْفِرُوا). (6).

فخذاري من أن نكون سبباً في تنفير الناس وجلب المشقة عليهم؛ فإن الشرع الحنيف قد حذر من ذلك أشد التحذير.

1- سورة الحج: 78

2- سورة البقرة: 185

3- رواه الطبراني.

4- صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله (1478).

5- أخرجه الترمذي (1930) واللفظ له، وأخرجه مسلم (2699) مطولاً.

6- أخرجه البخاري (6125)، ومسلم (1734).



وَكَانَ فَضْلُكَ عَلَيْنَا عَظِيمًا



10- حديث (لكل نبي دعوة).

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعاً لأمتي في الآخرة). (1).

وفي لفظ آخر من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال ﷺ: (لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، واني اختبأت دعوتي شفاعاً لأمتي، فهي نائلة من مات منهم لا يشرك بالله شيئاً). (2).

ومن ذلك ما روي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: رَبِّ إِنِّي أٌضِلَّنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي)، وقال عيسى عليه السلام: (إِنْ تُعَدِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: (اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي، وَبِكِي، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلُهُ مَا يُبْكِيكَ؟ فَاتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللَّهُ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوءُكَ). (3).

الآيات في الحديث: (إبراهيم: 36) - (المائدة: 118).

1- أخرجه البخاري (6304)، ومسلم (198).

2- أخرجه البخاري (6304)، وأحمد (8959) مختصراً، ومسلم (199)، والترمذي (3602)، وابن ماجه (4307) واللفظ له.

3- صحيح مسلم (202)، وهو من أفراد مسلم على البخاري.

جانب من شرح الحديث:

كما هو واضح أن هناك الفاظ عديدة لهذا الحديث وجميعها يدور حول الشفاعة، ولعل الباحث في أحاديث وآيات الشفاعة سيجد الكثير من الكتب قد أفردت لذلك، ولكننا نقف هنا مع الدعوة التي خبأها النبي ﷺ لنا يوم القيامة، وما ذلك إلا أثبات لعظيم محبته ﷺ لنا.

من هذا الحديث نرى كيف يُخبر النبي ﷺ أن لكل نبي دعوة مُستجابة، أي: له عند الله من رفيع الدرجة وكرامة المنزلة أن جعل له أن يدعو فيه أحب من الأمور ويُبلغه ما أراد.

ونرى كيف ادّخر النبي ﷺ هذه الدعوة التي يتيقن إجابتها إلى يوم القيامة، وآثر أمتة بما خصّه الله به من إجابة الدعوة بالشفاعة لهم.

وشفاعته ﷺ تكون للمذنبين، أو في إدخال الجنة من غير حساب، أو في رفع الدرجات يوم القيامة؛ وكلٌّ بحسب حاله.

وأما حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (شفاعتي لأهل الكبراء من أمتي). (١). وما في معناه؛ فإنه نصّ في بعض أفراد هذا العام، ولا يُبطل العام وإنما فيه بيان أنهم أحق الناس بشفاعته ﷺ.

وفي الحديث: بيان كرامته ﷺ على الله، وبيان فضل الله على أمة الإسلام. وفيه: الحثُّ على الثبات على الإسلام والإيمان لنوال الشفاعة.

1- أخرجه أبو داود (4739)، والترمذي (2435)، وأحمد (13222).

من فوائد هذا الحديث:

- 1- نرى في الحديث أنه ﷺ لم يجعل دعوته خاصةً لنفسه أو لأهل بيته بل هي للأمم كافة، فهو كما وصفه سبحانه وتعالى (بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ).
- 2- ونرى من ذلك بيان كمال شفقتة ﷺ على أمته، ورأفته بهم، واعتناؤه بالنظر في مصالحهم المهمة، فأخّر ﷺ دعوته لأمته إلى أهم أوقات حاجتهم. (1).

من الشواهد لهذا الحديث:

- حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (أتاني آتٍ من عند ربي، فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة؛ وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً). (2).
- وفي هذا الحديث يتجلى عطف النبي ﷺ على أمته، بحيث فضل أن تنتفع عامة أمته على أن يدخل شطرهم الجنة، ثم يحرم شطرها الآخر من شفاعته. وقوله ﷺ "فاخترت الشفاعة"، دليل على أنها أوسع في شمولها من النصف، وأنها تشمل أمة الإجابة أجمعين.
- وفي رواية لابن ماجه (قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِهَا)، أي: نكُونُ مِمَّنْ تَشْفَعُ فِيهِمْ، فقال النَّبِيُّ ﷺ: "هي لكلِّ مُسْلِمٍ"، أي: فاثبتوا على الإسلام حتى تنالوها، وهذه الشفاعة التي خيّر ﷺ فيها غير الشفاعة العظمى في فصل القضاء بين العباد.

1- قاله النووي في شرحه لمسلم (3 / 70).

2- أخرجه الترمذي (2441)، وابن ماجه (4317).

من اللطائف التي استوقفتني بهذا الحديث:

أقول: إن المتأمل لهذا الحديث يستوجب عليه معرفة عدة أمور مهمة...

أولها: أنه يجب علينا أن نكون عند حسن ظن نبينا ﷺ بنا، فنكون على ما يجب أن يرانا عليه ﷺ من الالتزام بأوامره والانتهاز عن ما نهانا عنه، مع التسليم أنه ﷺ ما نهانا عن شيء إلا لوجود مصلحة تصب في صالحنا.

وثانيها: محبته أكثر من غيره من الخلق؛ فمحبته النبي ﷺ لا توازيها محبة مخلوق أياً كان؛ لأن محبته ﷺ وطاعته عبادة وطاعة يتقرب بها المسلم إلى الله، وهي أصل عظيم من أصول الدين، ودعامة أساسية من دعائم الإيمان، كما قال تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ). (1). فاتباعه ومحبته ﷺ أولى من محبة النفس والمال والولد والآباء والأحباب والناس أجمعين.

ومن أحبه بصدق واتبعه بإخلاص فقد علا شأنه وثبت إيمانه؛ ففي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين). (2).

1- سورة آل عمران: 31

2- أخرجه مسلم (44) واللفظ له، وأخرجه البخاري (15) باختلاف يسير.



فحبة النبي ﷺ من الفرائض وشروط الإيمان، وبدونها لا يتم إيمان العبد ولا تُقبل منه الأعمال الصالحة.

كما وإن الإتيان بالشعائر الدينية يدخل ضمن محبة النبي ﷺ؛ لأن من أهم مستلزمات محبته ﷺ أن يطيعه المؤمن، ويمثل أوامره، ويجتنب نواهيه. وعليه؛ فإن تحقق محبة النبي ﷺ الحقبة يتضمن تلقائياً الإتيان بالشعائر الدينية التي جاء بها، لضرورة اقتران المحبة الحقيقية بالطاعة.

ولا بد في ذلك كله من انشراح الصدر، والقبول بما جاء به النبي ﷺ دون اعتراض؛ قال تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا). (١).

وفي ذلك يقول ابن القيم رحمة الله: أقسم سبحانه بنفسه المقدسة قسماً مؤكداً بالنفي قبله على عدم إيمان الخلق حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الأصول والفروع، وأحكام الشرع، ولم يثبت لهم الإيمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينتفي عنهم الحرج، وهو ضيق الصدر، وتنشرح صدورهم لحكمه كل الانشراح، وتقبله كل القبول، ولم يثبت لهم الإيمان بذلك حتى يضاف إليه مقابلة حكمه بالرضا، والتسليم، وعدم المنازعة، وانتفاء المعارضة والاعتراض. (٢).

1- سورة النساء: 65 .

٢- التبيان في أقسام القرآن (ص 270).



صفحة حديث (لكل نبي دعوة) من مخطوط صحيح الإمام مسلم.

عَسَانَ قَالَ وَاحْتَدْنَا مُعَاذُ يُعْنُونَ ابْنَ هِشَامٍ فَالْحَدِيثُ أَبِي عَنْ قَتَادَةَ حَدَّثَنَا ابْنُ مَالِكٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ دَعَاها لِأُمَّتِهِ وَإِنِّي اجْتَبَأْتُ دَعْوِيَّ شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَابْنُ أَبِي خَلْفٍ فَالْحَدِيثُ رُوِيَ عَنْ قَتَادَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ وَحَدَّثَنَا ابْنُ كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا وَبِيعُ ح وَحَدَّثَنِي أَبُو هَيْمٍ سَعِيدُ الْجَوْهَرِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو اسْمَاءَ جَمْعًا عَنْ مَسْعُومٍ عَنْ قَتَادَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ وَبِيعٍ قَالَ قَالَ أُعْطِيَ وَحَدِيثُ أَبِي اسْمَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ مَالِكٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَدْ لَمْ يَخُودِ حَدِيثُ قَتَادَةَ عَنْ ابْنِ حُدَيْثٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَلْفٍ حَدَّثَنَا رُوِيَ عَنْ ابْنِ حُدَيْثٍ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ تَدْعُو بِهَا فِي أُمَّتِهِ وَجَاءَتْ دَعْوِيَّ شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَدَّثَنِي يونسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى

صفحة من حديث دعاء النبي ﷺ من مخطوط صحيح الإمام مسلم.

سَأَلَ قَتَادَةَ إِنَّمَا أَيُّ دَعْوَةٍ كَانَ يَدْعُو بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّرَفَّالُ كَانَ التَّرَدُّوعِ يَدْعُو بِهَا يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنَّمَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ قَالَ وَكَانَ ابْنُ إِسْحَانَ إِذَا دَعَا يَدْعُو بِدَعْوَةٍ دَعَا بِهَا فَاذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ دَعَا بِهَا فِيهِ حَدَّثَنَا عُمَيْرُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ تَنَاوَلْنَا ابْنَ شَاشَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنِ ابْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّمَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ قَاتَتْ عَلَى مَالِكٍ عَنِّي عَنِ أَبِي صَالِحٍ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحُدُودُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عِدَّةُ عَشْرِ رِقَابٍ وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَحُجِّتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يَمُوتَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدًا فَضَّلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدًا كَثْرًا مِنْ ذَلِكَ وَمَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ وَ لَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْأُمَوِيُّ ثنا عَبْدُ الْغَنِيِّ بْنُ الْحَخَّارِ عَنِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



وقفه: لا شك أن أهل العلم هم أكثر الناس معرفة بالله ورسوله ﷺ، وقد أمر سبحانه وتعالى عباده بطلب العلم ومدح العلماء وأشاد بذكرهم، وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته على توحيده سبحانه، فقال: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ). (1).

وجعل أكثر العباد خشية منه هم أهل العلم فقال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ). (2).

ولأنه العدل سبحانه، وهو القائل (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا). (3). لم يجعل منزلة العلماء مع الجهال معاً، فقال تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (٤). إشارة منه تعالى لعظيم مكاتهم عنده.

ونرى كيف رفع النبي ﷺ من شأن أهل العلم ومكاتهم، فقال في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَعْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحَيَّتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ). (5).

1- سورة آل عمران: 18

2- سورة فاطر: 28

3- سورة الكهف: 30

4- سورة الزمر: 9

5- أخرجه أبو داود (3641) واللفظ له، والترمذي (2682)، وابن ماجه (223).

بل ونجد الكثير الكثير من النصوص التي تدل على فضل العلم وأهله،
وعلم الحديث من أجل العلوم وأشرفها وأعظمها عند الله قدراً، فبه يُعرف
المراد من كلام الله عز وجل، وبه يَطَّلِعُ العبد على أحوال نبيه ﷺ وشمائله،
وحسبُ الراوي للحديث شرفاً وفضلاً، وجلالةً ونبلاً، أن يكون في سلسلة
آخرها النبي ﷺ، ولذلك قال بعض أهل العلم: أشد البواعث وأقوى
الدواعي لي على تحصيل علم الحديث لفظ (قال رسول الله ﷺ).

أقول: وبها يكون طالب العلم وارثاً وناطقاً بسنده عن رسول الله ﷺ، يبلغ
الامة اليوم ما قاله النبي ﷺ وما جاء به عن الله جلًّا وعلا، وكفى بذلك
شرفاً للحديث وأهله.

وقد قال بعض السلف في قوله تعالى: (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ)، (١).
أن هذا أكبر شرف لأصحاب الحديث لأن إمامهم النبي ﷺ.
ويكفي أهل الحديث شرفاً وفضلاً دخولهم في دعوة النبي ﷺ حين قال (نَصَرَ
الله امرأً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه، فربُّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى من سامعٍ). (٢).
قال سفيان بن عيينة: " ليس من أهل الحديث أحد إلا وفي وجهه نضرة لهذا
الحديث ". (المستخرج على المستدرک للعراقي).
كما أن الاشتغال بعلم الحديث تبليغ عن رسول الله ﷺ وامتنال لأمره، حين
قال ﷺ: (بَلِّغُوا عَنِّي ولو آيَةً). (٣).

1- سورة الإسراء: 71

2- أخرجه الترمذي (2657) واللفظ له، وابن ماجه (232)، وأحمد (4157).

3- أخرجه البخاري (3461)، من حديث عبدالله بن عمرو .



وقد بشر النبي ﷺ بحفظ هذا العلم، وأن الله عز وجل يهيئ له في كل عصر خلقاً من العدول، يحمونه وينفون عنه التحريف والتبديل، حماية له من الضياع، وكفى بذلك شرفاً وفضلاً، فقال في الحديث المشهور (يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُوهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ). (١).

- وقال النووي رحمه الله في أول تهذيبه: (هذا إخبار منه ﷺ بصيانة هذا العلم وحفظه، وعدالة ناقله، وإن الله يوفق له في كل عصرٍ خلفاً من العدول يحمونه وينفون عنه التحريف، فلا يضيع).

ومما يدل أيضاً على شرف الحديث وأهله، ما ورد عن السلف والأئمة من تعظيمهم للسنة النبوية وإجلالهم لحديث رسول الله ﷺ،

قال الشافعي رحمه الله: (أهل الحديث في كل زمان كالصحابية في زمانهم، وكان يقول: إذا رأيت صاحب حديث فكأنني رأيت أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ).

ونرى من جميل وصايا العلماء أنهم يوجهون الأمة دائماً للرجوع إلى أهل الحديث؛ ومن ذلك قال هارون الرشيد: (طلبت الحق، فوجدته عند أصحاب الحديث). (٢).

1- رواه السفاريني الحنبلي: في القول العلي / 227 ، وأخرجه البزار (9423)، والعقيلي في

«الضعفاء» (1 / 94)، وابن عبد البر في «التمهيد» (1 / 59). وله طرق عديدة.

2- الخطيب في شرف أصحاب الحديث.



وقال سفيان الثوري: (الملائكة حُرّاس السماء وأصحاب الحديث حُرّاس الأرض)، وقال: (إن أهل الحديث لو لم يأتوني لأتيتهم في بيوتهم). (١).

وقال ابن حبان: (إن أولى الناس برسول الله يوم القيامة يكون أصحاب الحديث). كذا في كتاب القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيق - للسخاوي.

وقال الإمام أحمد رحمه الله: (إن لم يكن أهل القرآن والحديث أولياء الله فليس لله في الأرض ولي). (٢).

وقال أبو يوسف القاضي في أهل الحديث: (ما على الأرض خير منكم).

وقال أبو المظفر السمعاني: (أبي الله أن يكون الحق والعقيدة الصحيحة إلا مع أهل الحديث لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفاً عن سلف، وقرناً عن قرن).

وقال قتبية بن سعيد: (إذا رأيت الرجل يجب أهل الحديث فإنه على السنة، ومن خالف هذا فاعلم أنه مبتدع). (٣).

قال الإمام عبد القادر الجيلاني الحنبلي: (وعلامه الرافضة تسميتهم أهل الحديث ناصبة، وكل ذلك عصبية بهم وغياظ لأهل السنة، ولا إسم لهم إلا إسم واحد وهو أصحاب الحديث ولا يلتصق بهم ما لقبهم به أهل البدع). (٤).

1- كتاب البغدادي شرف أصحاب الحديث ص 105 .

2- المصدر نفسه ص 50 .

3- المصدر نفسه ص 72 .

4- كتاب الغنية ص 71 .



قال ابن قتيبة رحمه الله: (فأما أصحاب الحديث فإنهم التمسوا الحق من جهته، وتتبعوه من مظانه، وتقربوا إلى الله تعالى باتباعهم سنن رسول الله وطلبهم لآثاره، وأخباره براً وبحراً وشرقاً وغرباً). (١).

قال الإمام الشافعي رحمه الله: (القول في السنة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث: الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله).
اجتماع الجيوش لابن القيم ص 59 .

وساق الخطيب بسنده إلى أحمد بن سنان رحمه الله قال: (كان الوليد الكرابيسي خالي، فلما حضرته الوفاة قال لبيه: عليكم بما عليه أصحاب الحديث فإني رأيت الحق معهم). ذكره الخطيب في شرف أصحاب.
قال الإمام الشافعي رحمه الله: (عليكم بأهل الحديث فإنهم أكثر صواباً من غيرهم). (٢).

قال الزعفراني، وهو من أكبر أصحاب الشافعي: (ما على وجه الأرض قوم أفضل من أصحاب الحديث يتبعون آثار النبي ﷺ). (٣).

1- تأويل مختلف الحديث ص 71 .

2- ذكره ابن حجر في تولى التأسيس ص 110 - والآداب لابن مفلح (1/238).

3- نقله الذهبي في السير (12/246).



ومن لطيف الأقوال ما جاء عن سفيان بن عُيينة رحمه الله عن نفسه؛ قال
(ما أرى طول عمري هذا إلا من كثرة دعاء أصحاب الحديث). (1).

وقال ابن تيمية رحمه الله: (اعتقاد أهل الحديث هو السُّنة المحضة، لأنه هو
الاعتقاد الثابت عن النبي ﷺ).

وقال: (علماء أهل الحديث أعلم بمقاصد الرسول من أتباع الأئمة بمقاصد
أئمتهم)، ثم قال (هم أجل قدراً من هؤلاء وأعظم صدقاً وأعلام منزلة وهم من
أعظم الناس صدقاً وأمانة وعلماً). (2).

ومما سبق يتبين لنا أنّ بركة أهل الحديث كان مبدؤها من أول أيام النبوة
والإسلام، وأنّ أول أهل الحديث هم الصحابة والتابعون ثم الذين يلونهم
وهكذا... ولا يزال لقبهم أهل الحديث قرناً بعد قرن إلى قيام الساعة،
ولآخرهم كمثل أولهم.

1- كتاب البغدادي شرف أصحاب الحديث ص52 سفيان بن عُيينة أدرك أكثر من ثمانين تابعياً
وكان يُعد من حكماء أهل الحديث تاريخ بغداد(9/179).

2- منهاج السنة (4/59).



"الخاتمة"

- تم بحمد الله وفضله..

وكان الانتهاء من جمع هذا الكتاب أثناء إقامتي في جزيرة كوس (١)، الواقعة في جمهورية اليونان، قرب مسجد غازي حسن باشا التاريخي. (٢).
والحمد لله رب العالمين.

1- التعريف بجزيرة كوس: باليونانية (Κως) بالإنجليزية (Kos)، هي إحدى الجزر اليونانية المشهورة في التاريخ، كونها موطن الطبيب الإغريقي أبقرط المولود عام 460 قبل الميلاد، وقد تعاقبت عليها الأمم والحضارات عبر التاريخ، وكانت مركزاً مهماً من أيام ما قبل الميلاد إلى أيام العهد العثماني الذي استمر حوالي 4 قرون، وأهلها شعبٌ لطيفٌ طيب الأخلاق، لم نرى منه أي عنصرية أو أذى.

2- أما مسجدها القديم (مسجد غازي حسن باشا - Γαζή Χασάν Πασά Τζαμί) فقد تم بناءه في القرن الثامن عشر؛ في عام 1786م، وموقعه في جزيرة كوس في الجهة المقابلة مباشرةً من شجرة أبقرط المعمرة، وقد بُني في موقع كنيسة بيزنطية سابقة، من قِبَل أميرال الأسطول العثماني غازي حسن باشا.



نثر الحاتمة...

"جَعَلْتُ حَدَّثِي وَقَالَ أَبْنَابِي
 أَنَيْسُ غُرْبِي فِي أَلْيُونَانِ
 إِنَّ أَلْفَتِي بِلَا عِلْمٍ يُصَاحِبُهُ
 كَطَائِرٍ مَالَهُ جَنَاحَانِ"

9



اللهم

اجعل أبي وأمي من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة
 بغير حساب ولا سابقة عذاب،
 واغفر اللهم لمشايخنا ولمن علمنا ولمن له حق علينا.
 هذا وما قلته من خيرٍ فمن الله، وما قلته من سوءٍ فمن نفسي والشيطان،
 وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.
 ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾



وكتبه خَادِمُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ
 أُسَامَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَفِيَّانِ النَّجْفِيِّ

يوم 27 / ربيع الثاني / 1445 هـ
 الموافق ليوم 11 / 11 / 2023 م
 في جزيرة كوس - اليونان
 « إحدى محطات هجرتنا من بلاد الشام حرسها الله »

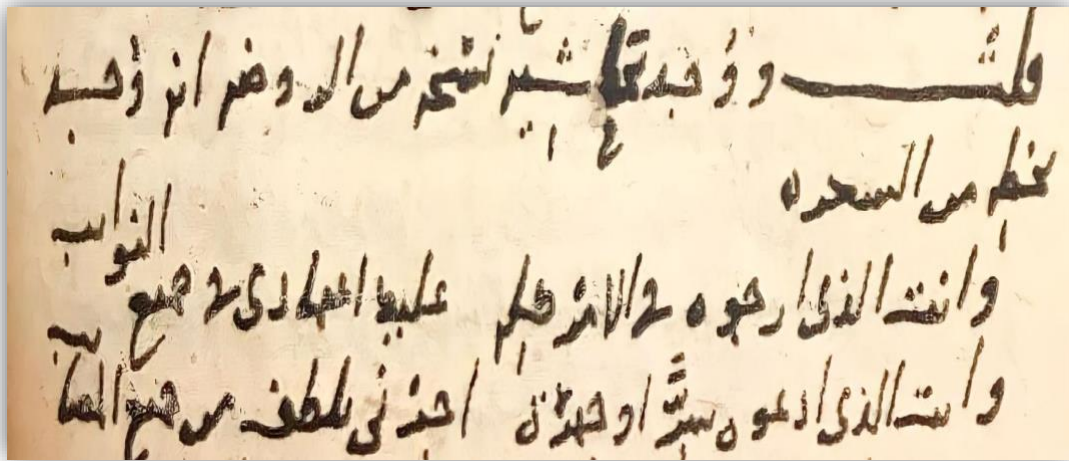
"أرجو ممن وجد خطأً في هذا الكتاب أن يصوبه لي لأقوم بإصلاحه"
 نسأل الله السلامة والقبول والعفو والعافية.

Osamahafian87@gmail.com



وَأَنْتَ الَّذِي أَرْجُوهُ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ عَلَيْكَ اعْتِمَادِي فِي جَمِيعِ النَّوَائِبِ
وَأَنْتَ الَّذِي أَدْعُوهُ سِرًّا وَجَهْرًا أَجْزَنِي بِلُطْفٍ مِنْ جَمِيعِ الْمَصَائِبِ

- أبياتٌ من نسخة «ترجمة شيخ الإسلام النَّووي» بخطِّ السَّخاوي (ص 50):
قال: ووُجِدَ بِحَاشِيَةِ نَسْخَةٍ مِنَ الرَّوْضَةِ أَنَّهُ وُجِدَ بِخَطِّهِ مِنَ الشَّعْرِ.



صورة قديمة لمسجد غزي حسن باشا / جزيرة كوس - اليونان



صورة للمسجد أثناء زيارتي له، ويظهر هنا بلا مئذنة، بسبب سقوطها
نتيجة الزلزال الذي ضرب جزيرة كوس سابقاً في 21 - 7 - 2017 م





" عَلَى طَالِبِ عِلْمِ الْحَدِيثِ أَنْ يُدَاكِرَهُ بِشَكْلِ دَائِمٍ، وَلَا يَفْتَرَّ عَنْ مُطَالَعَةِ
أَبْوَابِهِ وَمَسَائِلِهِ، كَيْ لَا يَتَفَلَّتَ مِنْهُ هَذَا الْخَيْرِ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِتَلْقِيهِ.
كَمَا وَأَنَّ مُتَابِعَةَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَتَكَرُّرِ الْقِرَاءَةِ عَلَيْهِمْ لَا بُدَّ أَنْ تُؤْتِيَ ثَمَارَهَا مِنْ كُلِّ
النَّوَاحِي الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ،
وَالَّتِي مِنْ شَأْنِهَا تَنْمِيَةُ الْمَلَكََةِ عِنْدَ طَالِبِ الْعِلْمِ، وَمُسَاعَدَتُهُ فِي اسْتِحْضَارِ
الْأَدَلَّةِ عِنْدَ حَاجَتِهَا، وَاسْتِخْرَاجِ فَوَائِدِ هَذَا الْعِلْمِ عِنْدَ تَدَبُّرِهِ "

أُسَامَةُ الْحَفِيَّانِ النَّعْمِيِّ

